المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

قصيدة " يوم العبور "

للشاعر عبدالمجيد فرغلي ت ٢٠٠٩م - دراسة بلاغية

poem 'Transit Day' by the poet Abdul Majeed Farghali - d. 2009 AD - a rhetorical study

✍ بقلم الدكتور

عبدالرحمن دخيل أحمد

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الأول

قصيدة " يوم العبور " للشاعر عبدالمجيد فرغلي – ت ٢٠٠٩ م - دراسة بلاغية

عبدالرحمن دخيل أحمد

قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : drabdrohman@gmail.com

الملخص

تهدف الدراسة إلى الحديث عن الأساليب البلاغية في قصيدة " يوم العبور" للشاعر الثائر عبدالمجيد فرغلي المتوفى عام ٢٠٠٩م ، وهو من أبرز شعراء مديرية "جرجا " سابقا ، فجاءت قصيدته مجسدةً مشاعره الجياشة، وحسه المرهف الذي يفيض حباً وفخراً بانتصار الجيش المصري على العدو الإسرائيلي في حرب عام ١٩٧٣م .

ومن نتائج البحث : جودة القصيدة وسمو أسلوب قائلها، وإتقانه في اختيار الأساليب البلاغية المناسبة لمرمى القصيدة ، والمتناغمة مع معاني الفخر والاعتزاز التي ملكت قلبه ، فجاءت أساليبه متآلفة كالجسد الواحد ، متكاملة مراعية للمقام ملائمة للسياق ، كأنما خلقت لتنقل لنا صورة بينة لملكات الشاعر وبديع فخره، ومن ثمّ كان الأسلوب الخبري غير المؤكد هو الأعم لنقل صفاء نفس الشاعر وجودة سبكه، بينما قلَّ أسلوب الإنشاء فلم يرد إلا قليلا ، لأنه غير مناسب لمقام الفخر والبطولة الذي يسعى إليه الشاعر

في حين كَثُرتْ الأساليب المجازية عن طريق الاستعارة التمثيلية والكناية ، لأنها تناسب الغرض الرئيس الذي يفيض قوةً واقتداراً بما حقق من نصر وعبور ، وهزيمة للعدو أعادت مجد الأمة المسلوب ، وردت كرامة العرب إلى سيرتها الأولى، ولم يستعمل الشاعر المحسنات البديعية إلا نادرا ؛ لأنه كان شاعراً مطبوعاً

لم يسرف في الاعتناء بالزخرفة اللفظية ، والإكثار من الحُلى اللفظية إلاَّ ما جاء منها عرضاً واستدعاه السياق وتطلَّبَهُ المقام .

الكلمات المفتاحية: يوم العبور، عبدالمجيد فرغلي، مديرية جرجا.

poem 'Transit Day' by the poet Abdul Majeed Farghali - d. 2009 AD - a rhetorical study

Abdul Rahman Dakhil Ahmed
Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Girga, Al-Azhar University, Egypt
Email: drabdrohman@gmail.com

Abstract:

The study aims to talk about rhetorical methods in the poem 'The Day of Crossing' by the revolutionary poet Abdul Majeed Farghali, who died in 2009, one of the most prominent poets of the Directorate of 'Girga' previously, his poem came embodying his strong feelings, and his delicate sense that overflows with love and pride in the victory of the Egyptian army over The Israeli enemy in the 1973 war.

The results of the research: the quality of the poem and the superiority of the style of the saying, and mastery in the selection of rhetorical methods appropriate to the goal of the poem, and harmonious with the meanings of pride and pride that owned his heart, came his methods monolithic as one body, integrated taking into account the place appropriate to the context, as if created to convey to us a clear image of the queens of the poet and Badi pride, and then the method of news is uncertain is the most general to convey the purity of the same poet and the quality of casting, while less style of creation did not respond only a little, because it is not appropriate For the place of pride and heroism sought by the poet

While metaphorical methods abounded through representative metaphor and metonymy, because it suits the main purpose that overflows the strength and power of what has been achieved from victory and crossing, and the defeat of the enemy returned the glory of the stolen nation, and the dignity of the Arabs was restored to its first biography, and the poet did not use the creative benefactors except rarely; and required by the maqam .

Keywords: Transit Day, Abdelmajid Farghali, Girga District.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي ذي الجلال والإكرام ، المنعم على جميع خلقه بالإحسان والامتنان ، خص نفسه بالكمال وسمو البيان ، وحكم على خلقه بالفناء والنقصان ، وألزم نفسه بالعفو والعفران، والصلاة والسلام على أبلغ الفصحاء وأشرف الأنبياء وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين .

أما بعد

فإنَّ الشعر غاية البيان البشري ، تسابقت فيه عقول الشعراء والبلغاء ، وطاف في محرابه النبلاء والأولياء ، فكان سجلاً حضارياً سُطرت فيه تاريخ الأمم وأحلامها، ورصدت فيه آمالها وهمومها على مرّ العصور والأزمان ، ولقد شاءت حكمة الله – تعالى – أن يكون لأبناء مديرية جرجا " إقليم جنوب الصعيد بمصر " نصيب فريد من تلك الهبة الربانية والمنحة الإلهية ، فساهم علماء الصعيد وشعراؤه –وما زالوا – بحظٍ عظيمٍ في شتى العلوم الإنسانية لا سيما العلوم العربية والإسلامية منها ، فعلموا الناس كُلَّ أوجه الخير والأدب ما استطاعوا لذلك سبيلا ، ولما كان الشعر العربي هو أول الأدوات التي يتحلى بها أهل العلم لفهم معانى القرآن الكريم وتدبر أحكامه ، والإحاطة بمقاصده ، نبغ الكثير من شعراء إقليم الصعيد عموما ومديرية جرجا خاصة ، وقد هيأت البيئة الرائقة التي نشأ فيها هؤلاء العلماء والأدباء لهم جوا مناسبا وأرضا خصبة لنمو تلك المواهب على ضفاف نهر النيل حيث الطبيعة الخلابة والمناظر العذبة الجميلة إضافة للنزعة الدينية الإسلامية والعربية الذي كان لها أعظم الأثر في بث روح البلاغة والبيان الراقي بين شعراء الإقليم ، ومن عظيم فضل الله عليَّ أن أرشدني لاختيار هذا البحث : " قصيدة " يوم العبور " للشاعر عبدالمجيد فرغلي ت عام ٢٠٠٩ م دراسة بلاغية " وهو من شعراء الصعيد البارزين الذين منَّ الله عليهم بحسن الخطاب وبلاغة البيان ، وذلك للمشاركة بتلك القصيدة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الأول لكلية اللغة العربية للبنين – جامعة الأزهر – فرع جرجا ، والذي سينعقد بمشيئة الله

– تعالى – بعنوان : " جرجا عبر العصور وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية "، والبحث المقدم يقع تحت العنصر العاشر: "المباحث البلاغية في دواوين شعراء جرجا " من المحور الأول من أعمال المؤتمر : "جهود علماء إقليم جرجا في العلوم العربية " .

والهدف من الدراسة : إماطة اللثام عن الأساليب البلاغية التي ذكرها الشاعر في قصيدة يوم العبور التي وردت ضمن ديوانه :" أكتوبر رمز العبور "، والكشف عن مواطن الإبداع فيها ومدى مناسبة تلك الأساليب للمعاني والأفكار الجزئية التي اشتملت عليها القصيدة ، وملاءمتها لمغزى القصيدة الرئيس ، وإدراك معالم الشاعر النفسية التي امتزجت بالفخر والاعتزاز بانتصار جيش وطنه على جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي أذاق أهل مصر سوء العذاب، واحتل درةَ بلدهم سيناء المباركة ، فلما أرد الله لمصر النصر وتحقق الوعد لهجت نفس الشاعر بتلك القصيدة الوطنية لتجسد فخر أبناء الصعيد بانتصار جيشهم العظيم .

وآثرت اختيار نتاج الشاعر الثائر ؛ لأنه من الشعراء البلغاء الذين جمعوا بين حسن الخلق والدين وصفاء القريحة ، ومن ثَمَّ كان شعره وساماً خالدا أبد الدهر .. فضلا عن دلالته على رفاهة ذوقه ، وتميز موهبته عن أبناء جلدته بما يحمله من فخر بنصر جيش بلده بلا إفراط أو غلو ، فكانت قصيدته بمثابة التاج على جبين الجيش المصري الذي صنع معجزة النصر بأمر الله .

إشكالية الدراسة : تجيب الدراسة عن تساؤل يطرح نفسه : كيف جسَّد الشاعر معانى البطولة والفخر بانتصار الجيش المصري في حرب أكتوبر من خلال أبيات القصيدة ؟ وما أعظم ملامح الوطنية فيها ؟ وكيف تعانقت جلّ الأساليب البلاغية في القصيدة لخدمة الغرض الرئيس ؟ وكيف امتزجت الأساليب فيها لملاءمة المعاني والأفكار الفرعية ؟

وتكمن أهمية البحث : في أنه يلقى الضوء على النتاج الأدبي لشاعر متفرد من أبناء الصعيد ، مما يثري الحقل البلاغي بنبت طيب من الألوان البلاغية

من خلال تحليل الأساليب البلاغية في القصيدة، وبيان أثرها في توطيد مغزى فكره ، ومحور مراده ، وهذا يُسْهِمُ بدوره في النهوض بالدراسات البلاغية .

ومن أهم الصعوبات : ندرة الدراسات البلاغية حول القصيدة – على حد علمي – فلم أجد ثمة دراسة بلاغية متخصصة تناولت القصيدة بالبحث والتحليل سوى تعليقات يسيرة في كتاب " عبدالمجيد فرغلي سمفونية الشعر العربي ورحالته المخضرم "دراسات نقدية في شعره الملحمي والديني والوجداني، للدكتورة الجزائرية / فاطمة الزهراة ناصر، إعداد / عماد الدين عبدالمجيد فرغلي، وقد ورد هذا الكتاب ضمن "سلسة كتاب" عبدالمجيد فرغلي في عيون العلماء "، العدد الثالث، دار الشواهين للنشر والتوزيع .

أما عن منهجي في الدراسة ، فيتلخص في الآتي :

أولا : اعتمدت على المنهج التحليلي التكاملي لقصيدة "يوم العبور " فحصرتُ الأساليب البلاغية الواردة فيها، وآثرتُ عدم الحديث عن مغزى الأساليب المتكررة إلا إذا استدعى التحليل ذلك، ثم قمتُ بتقسيم القصيدة إلى عدة أفكار جزئية جعلتُ كل واحد منها مبحثا مستقلا ، فبدأتُ بمطلع القصيدة وما تضمنته من بلاغة في التعبير عن بسالة الجيش المصري في القصيدة، وختمتُ بمبحث بلاغة التعبير عن حق العرب والمسلمين في أرض سيناء وفلسطين ، وقد اعتمدت في ذلك على نسخة محققة من ديوان" أكتوبر رمز العبور " للشاعر عبدالمجيد فرغلي ، إعداد وتوثيق ابنه / عماد الدين عبدالمجيد فرغلي ، تقديم الدكتور / عبدالله محمد أديب شمس الدين القاوقجي ، مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، الطبعة الثانية ، طبعة / دار الباسل للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ١٤٤٥هـ ، ٢٠٢٤م

أما عن خطة البحث فقسمته إلى خمسة مباحث سبقتها مقدمة وتمهيد ، وأعقبتها خاتمة وفهارس :

أولا : **المقدمة** : وذكرتُ فيها أهمية الموضوع ، وأهدافه ، وإشكالية البحث ، ومنهجه وطريقة السير فيه .

ثانيا : **التمهيد** : وجاء في مطلبين : الأول : نبذة موجزة عن الشاعر، والثاني : مكانة " ديوان "أكتوبر رمز العبور " بين نتاج الشاعر ، والمعاني والأفكار التي اشملت عليها القصيدة ، ثم ذكرتُ نص القصيدة.

ثالثا : **المباحث** :

المبحث الأول : بلاغة التعبير عن بسالة الجيش المصري في قصيدة يوم العبور .

المبحث الثاني : بلاغة التعبير عن فزع العدو الإسرائيلي من شجاعة الجيش المصري .

المبحث الثالث: بلاغة التعبير عن عودة الكرامة للعروبة كلها بنصر أكتوبر .

المبحث الرابع : بلاغة التعبير عن ذكرى نصر أكتوبر وأنه أحيا الأمل في أبطال فلسطين .

المبحث الخامس : بلاغة التعبير عن حق العرب والمسلمين في أرض سيناء وفلسطين.

رابعا : **الخاتمة** : وذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، وذيلتُ البحث بفهرس للمصادر والمراجع ،وفهرس للموضوعات .

وبعدُ ، فهذا جهدي المتواضع ، وأرجو من الله – تعالى – القبول والإخلاص ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

التمهيد

المطلب الأول : نبذة موجزة عن الشاعر

الشاعر الرحَّالة الشيخ عبدالمجيد فرغلي ولد في مدينة " أبو تيج " محافظة أسيوط حاليا ، " التابعة لإقليم مديرية جرجا "[١] سابقا ، ويعد من أبرز شعراء العصر الحديث ؛ حيث إنه من أرق أدباء إقليم جنوب الصعيد حساً ورقيّاً في أسلوبه وألفاظه ومعانيه ، تميز شعره بجودة نظمه وقوة سبكه ، وتنوع أغراضه الشعرية ، لذا يعد من عمالقة الشعر العربي في العصر الحديث[٢].

مولده ونشأته : اسمه : عبدالمجيد بن فرغلي بن محمد بن رفاعي، وشهرته عبدالمجيد فرغلي النخيلي ، ولد في الرابع عشر من شهر يناير سنة ألف واثنتين وثلاثين من الميلاد(١٩٣٢م)، وتوفي في الثالث من ديسمبر عام ألفين وتسعة ميلادية (٢٠٠٩م) في قرية النخيلة – مركز أبو تيج – محافظة أسيوط – بإقليم الصعيد وعاش جلَّ حياته بها ودُفن فيها، وقد عاش حياة ريفية بسيطة .. فلما تُوفي والده تولى رعاية والدته حتى وفاتها[٣] .

---

(١) هذه المديرية تكونت لأول مرة في العهد العثماني ، باسم كشوفية (دجرجا)" جرجا " ، ولما تغير اسم كشوفيه ، باسم ولاية سميت ولاية جرجا ، وكانت حدودها تمتد في سنة١٢٢٠هـ التي تولى فيها– محمد علي – حكم مصر من صليبة بندر أسيوط إلى وادي حلفا ، وكان يتولى إدارتها موظف كبير يسمى متصرف أو والي أو حاكم .. وفي سنة ١٢٣٠ هـ قسمت ولاية جرجا إلى قسمين وهما : قسم أول : ويشمل البلاد الواقعة قبلي أسيوط ، من مركز أسيوط ومركزي أبوتيج والبداري ، ومراكز مديرية جرجا الحالية ،وقسم ثان: ويشمل البلاد التي تدخل اليوم في اختصاص مديريتي قنا وأسوان .ينظر : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، وضعه وحققه ، وعلق عليه / محمد رمزي المفتش السابق بوازرة المالية ، القسم الثاني : البلاد الحالية ، الجزء الرابع ، صـ ١٥، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

(٢) ينظر: عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة ، بقلم عماد الدين عبدالمجيد ،تقديم / د / حميدة قادوم، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر صـ ١٠،٣١ ، الطبعة السادسة، ط/ مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢١م ، ١٤٤٢هـ .

(٣) عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ١٠ .

حياته الاجتماعية وأثرها في إبداعه الشعري :

تزوج الشاعر عام ألف وتسعمائة وستين من الميلاد من السيدة " رضا محمد فرغلي علي " ، وهي مصرية من مدينة أسيوط ، ترجع أصول أسرتها لعائلة " أنقاه " من مدينتي " طبرق وسبها " الليبيتين وجذور أجدادها من مدينة " فاس " المغربية ،نزح منها جدها لأبيها إلي صعيد مصر وعاش فيها وتزوج واستقر بها، وزوجة الشاعر سيدة متعلمة تركت مدرسة المعلمين لتتفرغ لحياتها الأسرية ، الأمر الذي ساهم في تفوق الشاعر في فن القريض ومواصلة مسيرته العلمية ،ومن ثّمَّ امتزجت روحه بروحها فكانت لها الأثر الأكبر في تكامل شعره الوجداني والذاتي(١).

مكانته الأدبية :

وهب الله – تعالى – شاعرنا ملكة بيانية رائقة تشي برجاحة عقله ، وهدوء نفسه ، وأدبه الجم ، ونفاسة شعره ، فكان متوكلاً على الله تعالى في كل شؤون حياته مع أخذه بكل أسباب الفلاح ، فتميز بحسن الخلق وجمال الإبداع الأدبي ، فحفظ القرآن الكريم في صغره ، وأحاط علما ببعض علومه وتفاسيره ، كما كان قارئا فذا للصحاح الست ، وخط بيده بعض أحاديث البخاري في فترة وجوده في دولة " ليبيا " .. نبغ في الخطابة وبعض العلوم الإسلامية الأخرى ، وتفاعل مع قضايا أمته القومية والوطنية فجاء شعره سجلا تاريخيا معبرا عن أحلام أمته وطموحاتها وآمالها ، وقصيدته المشهورة " يوم العبور " أبلغ دليل على ذلك ، كما بلغ العنان في الشعر الوجداني والمسرحي والملحمات الشعرية التي جعلته في مصاف الشعراء . (٢)

ولقد بذل الشاعر جهداً كبيرا في الحفاظ على اللغة العربية التي شرفها الله – تعالى – وأنزل بها القرآن الكريم ، فكان شعره هاديا لا يضل وحارسا أمينا على لغة القرآن الكريم يذب عنها السقطات والزلات التي وقع فيها الشعراء المحدثون ،

---

(١) عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ١٠ ، ١٢ .

(٢) ينظر : عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ١٨ .

فدسوا في اللغة اللغات الأجنبية الدخيلة ، ومزجوها بسفاف القول من العامية ، كذا عمل الشيخ على إرساء الدعائم الأخلاقية والتربوية والتعليمية التي يرقى بها المجتمع ، دون أن يغفل عن حظ الأمة العربية شرقا وغربا من الاهتمام والعناية ،فنظم في حب ونصرة فلسطين أصدق المشاعر وأعذبها ، وأكثرها متانة وصدقا ،وكتب ما وفق إليه أن يكتب عن عظماء الأمة وقادتها النبلاء(١).

" فلا تكاد تقرأ شعر " عبدالمجيد فرغلي " حتى تأخذك عذوبة ألفاظه وتنوع موضوعاته وسداد رصفه ، وما ذاك إلاَّ أنَّه شاعرٌ آتاه الله موهبة الشعر في أرقى صورها ، وأبهى حللها ؛ فقد قال وأطال في شتى الأغراض الشعرية ؛ الذاتية والوطنية والتاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والمعارضات الشعرية وشعر الأطفال " (٢) .

مؤهلاته وخبراته العلمية : التحق بكُتَّاب القرية وأتم حفظ القرآن الكريم في سن الثانية عشرة من عمره ، وحصل على كفاءة التعليم عام ١٩٥٢م من معهد المعلمين بأسيوط ،ثم حصل على دبلوم بعثة راق عام ١٩٦١م من معهد المعلمين بأسيوط ، ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م ، ثم عمل مدرسا في مرحلة التعليم الابتدائي من عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٧٧م،ثم عمل محققا بالتربية والتعليم من عام ١٩٧٨م حتى سن التقاعد في ١٤ من يناير عام ١٩٩٢م،وقد أعير للتدريس في دولة " ليبيا " من عام ١٩٧٣م حتى عام ١٩٧٧م في مدرسة المجاهد الابتدائية في بني غازي ، وقد شغل منصب " رئيس نادي أدب ثقافة صدفا " التابعة لفرع ثقافة أسيوط من عام ١٩٨٠م حتى قبيل وفاته(٣).

---

(١) ينظر: عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ٤ .

(٢) مقدمة ديوان " أكتوبر رمز العبور " للشاعر عبدالمجيد فرغلي ، إعداد وتقديم / عماد الدين عبدالمجيد فرغلي ، تقديم الدكتور/ عبدالله محمد أديب شمس الدين القاوقجي ،صـ ٣ ، الطبعة الثانية ، طبعة / دار الباسل للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ١٤٤٥هـ ، ٢٠٢٤ م .

(٣) ينظر : عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ٢٤ .

أشهر مؤلفاته :

ديوان " يقظة من رقاد " عام ١٩٥٥م ، المودع بدار الكتب والوثائق القومية المصرية في طبعته الثانية برقم ٢٠٠٦/ ١٠٩٤١، وديوان " العملاق الثائر " عام ١٩٥٩م، المودع دار الكتب والوثائق القومية المصرية في طبعته الثانية برقم ٢٠٠٦ / ١٣٣٩٦ ، وديوان " أشواق " إصدار فرع ثقافة أسيوط عام ٢٠٠٠م ، والمودع برقم ٢٠٠٦ /١٠٧٠٥، وملحمة " الخليل إبراهيم – عليه السلام – .وملحمة السيرة الهلالية باللغة العربية الفصحى .. وغيرها من المؤلفات التي وضعت في دار الكتب بعد وفاته(١).

* * * * * *

المطلب الثاني

أولا : مكانة ديوان " أكتوبر رمز العبور " بين نتاج الشاعر .

يُعَدُّ الديوان من أعظم النتاج الأدبي للشاعر فهو صورة فنية معبرة عن ذاته المفعمة بمعاني الحب والهيام بوطنه مصر وبأمته العربية الإسلامية ، فجسد فيه أعظم الأحداث التاريخية في العصر الحديث وهو نصر " أكتوبر المجيد " الذي استطاع الجيش المصري فيه أن يحقق انتصارا خالدا في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي .

والديوان يقع في مائة وثلاثة وأربعين صفحة ، ويتضمن الديوان القصائد الآتية " إلى متى الصمت ؟ – ونداء من القدس – وقصيدة لا .. ثم لا .. يا نار – في ذكر الشهيد عمر المختار – يوم العبور – انتصار أكتوبر – تكريم عائد من خدمة الوطن – رسالة إلى ساكن سيناء – مع ثورة شعب – سلام النيل يا بردى – حرب العراق – أحبك يا مصر "،ومن أهم تلك القصائد " قصيدة يوم العبور " التي تناولتها الدراسة ووردت في ستين بيتاً، ولما كان البحث مقدما ضمن أعمال المؤتمر الأول لكلية اللغة العربية بجرحا ، اكتفت الدارسة بهذه القصيدة لأنها تفي بالهدف المراد .

---

(١) ينظر : عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة صـ ٢٥ .

ثانيا : المعاني والأفكار التي اشملت عليها القصيدة .

مناسبة القصيدة : القصيدة قالها الشاعر في اليوم العاشر من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين من الميلاد في ذكرى انتصار أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ميلادية [١] ، وقد دارت القصيدة في مجملها حول محور أصيل هو احتفاء الشاعر بذكرى يوم العبور الذي عبر فيه الجيش المصري من ظلمة اليأس إلى نور الأمل ، فأعاد الكرامة واسترد الحق ، وقد تخللت القصيدة عدة أفكار جزئية بلورت هذا الغرض الرئيس وأفصحت عنه ، فبدأ الشاعر مطلع القصيدة بغرضه الأساس فذكر أن يوم العبور أعاد فيه جيش مصر أرض الجدود وحطم الأوغاد ، ثم جسد بسالة جيش وطنه وشدة بأسه، ثم أعقب ذلك بالحديث عن فزع الجيش الإسرائيلي من هول الملحمة التي تحققت على يد أبطال مصر، ثم ملك لُبَّ السامعين فذكر أنَّ نصر أكتوبر أعاد الكرامة للعروبة كلها وأحيا فيهم الأمل ،ثم ختم بحكمة غالية فند فيها ادعاء اليهود بأنهم أصحاب أرض فلسطين ، مؤكدا حق العرب والمسلمين فيها وأن ذلك الحق لا ريب فيه وأنه من الثوابت التي أقرها الله – تعالى – لتكون سنة في خلقه .

(١) ينظر : ديوانه صـ ١٥ بالهامش .

ثالثا : **نص القصيدة : عنوان القصيدة " يوم العبور "** [١].

يَومُ الْعُبُورِ بِجَـيْشِ مِصْـرَ أَعَـادَا ∴ أَرْضَ الْجُـدُودِ ..وَحَطَّمَ الْأَوْغَادَا
فِي صَيْحَةٍ عَـذْرَاءَ شَـقَّتْ أُفْقَهَـا ∴ وَصَحَا الْوَجُودُ يَرَى ابْنَ مِصْرَ أَرْادَا
عَبَـرَ الْقَنَـاةَ مِنْـهُ فَيَـالِقٌ ∴ مِـنْهَا الْأُسُودُ تَحَركَـتْ إِرْعَـادَا
فُلْـكُ الْعُبُـورِ وَفَوْقَهَـا نِيرَانُـهَا ∴ فُتِـحَتْ مَـدَافِعُهَا تَمُـوْرُ عَتَـادَا
وَالطَّـائِرَاتُ نُسُـوْرُهُنَّ تَحرَّكَـت ∴ تَرْمِي الْعَـدُوَّ .. أَجَابَـتْ القُـوَّادَا
"سَيْنَا" الْحَبِيْبَةُ عَانَقَتْ جُنْـدَ الفِـدْى ∴ وَتَزَاحَمَـت تَلْقَـى الْعِـدَى أَطْـوَادَا
"بَارْلِيْفُ" فُـزِّعَ صَـخْرُهُ وَجُنُـودُهُ ∴ لَمَّـا رَأَى جَـيْشَ الْفِـدَى آسَـادَا
عَبَرَتَ إِلَى شَـرْقِ الْقَنَـاةِ مُشَـاتُهَا ∴ حَمَلَـتْ عَتَـادَ فِـدَائِهَا اسْـتِعْدَادَا
صَرَخَ الْعَدُوُّ أُذِقْـتُ نِيْـرَانَ الـرَّدَى ∴ يَا "جُوْلْدَمَائِيرُ".. انْدُبِي اسْـتِنْجَادَا
قَدْ دُمِّـرَتْ قُـوَّاتُ إِسْـرَائِيلَ فِـي ∴ دُشَـمٍ لْبَـارْلِيفٍ ..هَـوَتْ أَوْتَـادَا
جَيْشُ الْعُبُورِ أَصَابَنَـا فِـي مَقْتَـلٍ ∴ لَم نَدْرِ كَيـفَ يُبِيْـدُنَا .. فَأَبَـادَا ؟
قُولِي لِأَمْرِيكَـا ابْعَثِـي مَـدَدًا لَنَـا ∴ إِنَّـا هُنَـا نَفْنَـى ..فَقَـدْنَا الـزَّادَا
إِنَّ ابْنَ مِصْرَ أُحِسُّ قُـوَّةَ بَـأْسِهِ ∴ يَبْغِي ثَـرَى "سَـينَا" إِلَيْـهِ مُعَـادَا
بَأْسُ الْـإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَـةِ وَالنُّهَـى ∴ بَلَغَ الْمَدَى .. مِمَّـا ابْتَغَـاهُ مُـرَادَا
قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ الَّتِـي مِـنْ تَحْتِنَـا ∴ وَأَحَالَنَـا بَـدَدًا وَرَامَ حَصَـادَا
قَدْ قَـالَ شَـاعِرُهُ التُّهَـامِيْ قَوْلَـةً ∴ فَشَـفَى مِـنَ الأُمِّ الـرَّءُومِ فُـؤَادَا
وَأَنَـا أَقُـولُ لَـهُ أَثَـرْتَ حَمَاسَـةً ∴ بِجُنُودِ مِصْرَ .. وَعِـزَّةً .. وَسَـدَادَا
جَمَعَتْ بَنِيهَا مِصْرُ فِـي يَـدِ وَثْبَـةٍ ∴ وَتَطَلَّعَـتْ تُحْيِـي بِهِـمْ أَمْجَـادَا
مِنْ عَالَمِ الْغَيْـبِ الْتَقَـتْ أَرْوَاحُهُـمْ ∴ حُبًّـا حَـوَى الْآبَـاءَ وَالْأَحْفَـادَا
النَّصْـرُ آتٍ رَفْرَفَـتْ رَايَاتُـهُ ∴ مِنْ بَدْرٍ الْكُبْـرَى .. تَحُـثُّ جِيَـادَا
وَالْقَادِسِـيَّةُ .. أَرْسَـلَتْ أَبْطَالَهَـا ∴ لِتُصَـافِحَ الْيَرْمُـوكَ وَالْقُـوَّادَا

---

(١) ديوانه صـ ١٥ :١٧ .

قُوَّادُ يَعْـرُبَ فِـي ثَـرَى حِطِّينِهَـا ∴ وَتُعَـانِقَ الْعَرَبِـيُّ ثَـمَّ تِـلَادَا
وَتُصَافِحَ الْمِصْـرِيُّ يَـوْمَ عُبُـورِهِ ∴ حِينَ اسْتَعَادَ الْـأَرْضَ رَاحَ وَعَـادَى
ذِكْرَى الْعُبُورِ رَنِينُهَا فِـي خَـاطِرِي ∴ وَصَـدَاهُ شَـنَّفَ لَحْنُـهُ الْآمَـادَا
حِقَبٌ مِنَ التَّـارِيخِ تَـرْوِي نَصْـرَهُ ∴ وَتُعِيـدُ مِـنْ آثَـارِهِ إِرْفَـادَا
نَصْرُ الْعُبُـورِ لَنَـا أَعَـادَ كَرَامَـةً ∴ فُقِـدَتْ زَمَانًـا .. أَيْنَعَـتْ أَعْـوَادَا
تَحْكِي لَنَا صُوَرَ الْبُطُولَـةِ وَالفِـدَى ∴ فِي خَيْـرِ مَعْرَكَـةٍ سَـمَتْ أَبْعَـادَا
نَادَى بِهَا بَطَلُ الْعُبُورِ .. عُرُوبَتِـي ∴ أَرْضِي .. بِهَا مَجْدُ الْخُلُـودِ تَنَـادَى
أَلْقَـتْ "بِـدَيَّانٍ" وَفَـاجِرِ عُصْـبَةٍ ∴ فِي نَارِهَـا الْحَـرَّى تُبِيـدُ فَسَـادَا
حَرَّرْتُ أَرْضِي مِـنْ عَـدُوٍّ غَاصِـبٍ ∴ وَرَفَعْـتُ هَامَـةَ أُمَّتِـي إِسْـعَادَا
جَيْشُ الْغُرُورِ أَصَابَهُ خِزْيُ الْمَـدَى ∴ وَفَتَـى الْعُبُـورِ بُطُولَـةً وَجِهَـادَا
زَادَ انْتِـزَاعُ النَّصْـرِ مِـنْ آفَاقِـهِ ∴ يَـومَ الْعُبُـورِ .. بُطُولَـةً وَجِهَـادَا
"سَـيْنَا" عَلَيْهَـا رَفْرَفَـتْ آمَالُهَـا ∴ يَوْمَ اسْـتَرَدَّتْ أَرْضَـهَا اسْـتِرْدَادَا
وَرَنَا زَعِـيمُ عُبُورِهَـا نَحْـوَ الْعُلَـا ∴ يُعْلِـي لِرَايَـاتِ الْعُبُـورِ عِمَـادَا
هِـي أُمَّـةٌ عربيَّـةٌ .. وَبُطُولَـةٌ ∴ شَـقَّتْ طَرِيـقَ خُلُودِهَـا .. آبَـادَا
وَالْيَوْمَ فِي أَعْيَـادِ ذِكْـرَى نَصْـرِهَا ∴ نُمْلِـي قَضِـيَّةَ مَجْـدِهَا مِيلَادَا
وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْـضُ بَقِيَّـةٍ ∴ شِـبْلُ الْحِجَـارَةِ رَوَّعَ الْجَلَّـادَا
يَرْمِـي الْعَـدُوَّ بِعُقْـرِ دَارِ غُـرُورِهِ ∴ وَيَـرُدُّهُ عَـنْ أَرْضِـهِ مِقْـدَادَا
حَجَـرٌ وَصَـارُوخٌ لَـهُ دَبَّابَـةٌ ∴ وَأَزِيـزُ طَـائِرَةٍ أَشَـدُّ عِنَـادَا
الْحَـرْبُ بَيْنَهُمَـا سِـجَالٌ تَغْتَـدِي ∴ كُـلٌّ غَـدًا لِعَـدُوِّهِ صَـيَّادَا
يَرْمِي شِبَاكَ الصَّـيْدِ فِـي تَنُّورِهَـا ∴ لِيَصِـيدَهُ أَو يَبْلُـغَ اسْتِشْـهَادَا
هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِـهِ مَـعَ غَاصِـبٍ ∴ يُصْمِي الـدِّيَارَ وَيَصْـرَعُ الْأَكْبَـادَا
لِلْحَرْثِ يُهْلِكُ ظَالِمًـا مَـعْ نَسْـلِهِ ∴ أَرَأَيْتَ "شَـارُونًا" أَحَـسَّ رُقَـادَا؟!
الْحَرْبُ دَائِـرَةٌ وَلَـوْ طَالَـتْ مَـدَى ∴ لَـا فَـادَ مِنْهَـا ظَـالِمٌ أَوْ سَـادَا
الْـأَرْضُ لِلْفَـادِي تُـرَابَ جُـدُودِهِ ∴ لَا الْغَاصِبِ الْبَـاغِي يَطِيـبُ مِهَـادَا

مَهْمَـــا تَسَـــلَّطَ أَو تَجَبَّـــرَ كَيْـــدُهُ ∴ هُـــوَ بَائِـــدٌ لَـــا بَـــالِغٌ مِيعَـــادَا
أَرْضُ الْجُـــدُودِ يَنَالُهَـــا أَبْنَـــاؤُهُمْ ∴ لَا مَـــنْ بَهَـــا فَقَـــدَ النُّهَـــى وَأَبَـــادَا
أَرْضٌ "كَسَـــيْنَاءٍ" تُعَـــانِقُ غَـــزَّةً ∴ وَالْقُدْسُ قَدْ وَقَفَـــتْ لَـــهُ مِرْصَـــادَا
أَرْضُ الْمَسِيحِ وَأَرْضُ مَسْرَى أَحْمَدَ ∴ أَرْضُ الْخَلِيـــلِ يُـــورِّثُ الْأَحْفَـــادَا
أَحْفَادُ إِسْمَاعِيلَ "لَـــا عِـــيصٍ" وَلَـــا ∴ أَحْفَـــادُ يَعْقُـــوب تَعِيـــثُ فَسَـــادَا
الْـــأَرْضُ لِلَّـــهِ الْمُـــورِّثِ أَرْضَـــهُ ∴ لِلصَّـــــالِحِينَ يُشَـــــيِّدُونَ وِدَادَا
أَرْضُ السَّلَامِ لِمَنْ أَقَامَ بِهَـــا الْهُـــدَى ∴ وَأَطَـــاعَ رَبَّ الْعَـــالَمِينَ رَشَـــادَا
الْهَـــدْمُ لا يَبْنِـــي السَّـــلامَ لِشَـــعْبِهِ ∴ بَـــلْ يُثْمِـــرُ الْبَغْضَـــاءَ وَالْأَحْقَـــادَا
وَاللهُ نَاصِـــرُ مَـــنْ احَلُّـــوا قُدْسَـــهُمْ ∴ حَتَّـــى لِيَـــوْمٍ يَجْمَـــعُ الْأَشْـــهَادَا
فِـــي كُـــلِّ عَـــامٍ تَغْتَـــدِي أَعْيَادُهَـــا ∴ كَتُـــرَابِ "سَـــيْنَا" حَطَّـــمَ الصْـــفَادَا
مَـــا أَبْتَغِيـــهِ يَـــرَاهُ فِتْيَـــةُ شَـــعْبِهَا ∴ طِفْـــلُ الْحِجَـــارَةِ لِلْخُلُـــودِ أَعَـــادَا
مَـــا دَامَ حَامِيهَـــا بِحَـــدِّ سِـــنَانِهِ ∴ وَمُنَاضِـــلًا عَـــنْ قُدْسِـــهَا الْأَوْغَـــادَا
هَـــذِي قَضِـــيَّةُ أَرْضِـــهِ وَكِفَاحِـــهِ ∴ بِـــالرُّوْحِ يَفْـــدِيْهَا وَيَـــنْعَمُ زَادَا
وَاللهُ نَاصِـــرُ عَبْـــدَهِ فِـــي أَرْضِـــهِ ∴ وَمُثَبِّتًـــا مَـــنْ لِلسَّـــلَامِ أَرَادَا
وَالْمُوقِدُونَ الْحَرْبَ.. جَزْلُ أُوَارِهَـــا ∴ حَتَّـــى وَلَـــوْ مَكَثُـــوا بِهَـــا آبَـــادَا

المبحث الأول

بلاغة التعبير عن بسالة الجيش المصري في قصيدة يوم العبور

توطئة :

تفرَّد عبدالمجيد فرغلي عن شعراء إقليم جرجا بأنه أجاد في تصوير بسالة الجيش المصري وعمق شجاعته بأسلوب فريد يشي بعظمة الشاعر ورقي مشاعره، وحسه المرهف ، ومن ثم وفق في انتقاء البحر الكامل التام ليكون أكمل في تجسيد معاني الفخر والاعتزاز التي أفعمت بها ذاته بما حققه جيش مصر من معجزة تاريخية بعبوره لقناة السويس وتحطيمه لغطرسة العدو الصهيوني الذي أُطلق عليه الجيش الذي لا يقهر، كما أنه أبلغ في التعبير عن استواء نفس الشاعر وكمال إحساسه وهو يتغنى بانتصارات أمته وعدم استسلامها للذل والهوان ، وهذا أمكن في شحذ همم شباب الأمة وحثهم على استرداد أرضهم المغتصبة في فلسطين وبلاد الشام ، وأدعى لبث روح التضحية والفداء بين صفوف الجيش المصري ليأخذ بكل أسباب القوة ويحافظ على ما منَّ الله به عليه من نصر ، وقد اشتمل هذا المبحث على ستة أبيات من مطلع القصيدة(١) ، تحدث فيها الشاعر عن إرادة الجيش المصري التي عبرت قناة السويس ، وشقت حاجز الظلمة وأستارها، وأعادت أرض الآباء والأجداد ،ورصدت معالم بطولاته فيقول :

يَومُ الْعُبُورِ بِجَيْشِ مِصْرَ أَعَادَا ∴ أَرْضَ الْجُدُودِ ..وَحَطَّمَ الْأَوْغَادَا

فِي صَيْحَةٍ عَذْرَاءَ شَقَّتْ أُفْقَهَا ∴ وَصَحَا الوَجُودُ يَرَى ابْنَ مِصْرَ أَرْادَا

عَبَرَ الْقَنَاةَ مِنْهُ فَيالقٌ ∴ مِنْهَا الْأُسُودُ تَحَركتْ إِرْعَادَا

فُلْكُ الْعُبُورِ وَفَوْقَهَا نِيرَانُهَا ∴ فُتِحَتْ مَدَافِعُهَا تَمُورُ عَتَادَا

وَالْطَائِراتُ نُسُورُهُنَّ تَحرَّكَت ∴ تَرْمِي الْعَدُوَّ .. أَجَابَتْ القُوَّادَا

"سَيْنَا" الْحَبِيْبَةُ عَانقَتْ جُنْدَ الفِدْى ∴ وَتَزَاحَمَت تَلْقَى الْعِدَى أَطْوَادَا

---

(١) ديوانه صـ ١٥.والقصيدة من الشعر العمودي وهي من البحر الكامل التام ،وحرف الروي فيها " الدال " المفتوحة .

بدأ الشاعر مطلع القصيدة بأسلوب خبري [١] بليغ غير مؤكد جسد فيه بطولات الجيش المصري وقوة رده فقال :

يَومُ الْعُبُورِ بِجَيْشِ مِصْرَ أَعَادَا ∴ أَرْضَ الْجُدُودِ .. وَحَطَّمَ الْأَوْغَادَا

لأنه آكدُ في تجسيد مشاعر الفخر والاعتزاز التي انتابت قلب الشاعر ، فأشعلت موهبته الشعرية ، فلهج لسانه بهذه القصيدة الفذة وفاء بحق المعنى ، وتلبية لغرض الفخر الذي يسعى إليه ، وذكر المسند إليه[٢] "يوم العبور" والمسند هو الجملة بعده " أعادَا .. أرض الجدودِ وحطَّمَ الأوغادَا " ، لأن الغرض من ذكره هو التعظيم لهذا اليوم والتنويه بشأنه ومكانته لأنه محط اهتمام الشاعر ومحور قصيدته الرئيس ، وهذا يتناسب مع غرض الافتخار ؛ لمزيد تشويق السامعين ولفت انتباههم للغرض الرئيس وهو الافتخار بعبور الجيش المصري الذي خُلد ذكراه في عبق التاريخ ، وتحطيمه لخط " بارليف " وهزيمته للعدو في يوم السادس من أكتوبر للعام ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين ميلادية ، الموافق العاشر من رمضان عام ألف وثلاث مائة وثلاث وتسعين هجرية ، هذا فضلا عن أن الغرض الرئيس هو ذكر يوم الانتصار ولذلك ذكره الشاعر وبدأ به وهذا هو المناسب لغرض القصيدة ومراد الشاعر ، فنفس الشاعر مفعمة بمعاني النصر والعزة بجيش العروبة الذي أعاد الأمجاد المسلوبة والأرض المغتصبة وعبر بقوله : " يوم العبور " ولم يقل: " يوم النصر " ؛ لأنه أبلغ في الدلالة على أن أتم أسباب النصر كانت من العبور فهو مفتاح النصر وموطن العزة ، لا سيما أنَّ الجيش المصري استعان بالله – عز وجل – أولا ، ومن ثم أخذ بالأسباب قال تعالى :﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾[٣] ، وقيد المسند "يوم العبور " بقوله : " بجيش مصر " ، للتنويه بشأنه ، والتأكيد على بسالته وشدة بأسه ، وهذا أنسب للغرض ، وأبلغ في تصوير صمود

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ١/ ٥٥ ، وما بعدها ، ت /د / محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط / ثالثة ، ط / المكتبة الأزهرية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٢) الإيضاح ٢/ ٧.

(٣) الأنفال آية ٦٠ .

جيش مصر ، وتماسك عزيمته ، وشدة إصراره على استرداد الحق ، وعبر بأسلوب الكناية[1] في قوله : " أرض الجدود " والمراد بها " سيناء " الحبيبة ؛ لأنه أمكن في بيان مكانتها عند المصريين فهي الأرض المباركة لأنها من الله بمكان ففيها البقعة التي تجلىَّ الله –تعالى – فيها قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، وتلحظ أن قوله : " يوم العبور " كناية عن موصوف يوم السادس من أكتوبر الذي غير وجه التاريخ ، فتآزر الأسلوبان مع الأسلوب الخبري لتجلية هذا المعنى وتوضيحه للسامعين بأسلوب رقيق تطرب له القلوب والآذان معا ، وعبر بأسلوب الوصل عن طريق التوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية [3] في قوله : " أعادا .. أرض الجدود وحطَّم الأوغادا "، فعطف الجملتين الخبريتين " بالواو " لإبراز الغاية وهي مزج التفاخر بعودة أرض الجدود ، وتحطيم هيبة العدو – جيش الاحتلال الإسرائيلي – المزعومة بعضهما مع بعض ، ولمزيد التحقير من شأنهم قال : " الأوغاد " ولم يقل : " اليهود " ؛ لأن التعبير بالأوغاد فيه مزيد تحقير وحطّ من شأن هؤلاء المعتدين الذين اغتصبوا أرض العرب بدون وجه حق ،واعتدوا على أهلها واستوطنوا أرضا ليست ملكا لهم قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[4] ،قال ابن فارس:" الْوَاوُ وَالْغَيْنُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى دَنَاءَةٍ ،وَرَجُلٌ وَغْدٌ وَهُوَ الدَّنِيُّ، مِنْ قَوْلِكَ وَغَدَتْهُمْ أَغِدُهُمْ، إِذَا خَدَمْتَهُمْ ،وَالْأَصْلُ الْوَغْدُ: قِدْحٌ لَا حَظَّ لَهُ " [5] ، فالتعبير به

---

(١) الكناية : هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه " . دلائل الإعجاز صـ ٦٦ .

(٢) القصص آية ٣٠ .

(٣) الإيضاح ٣/ ١٢٧ .

(٤) البقرة آية ١٩٠ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ٦ / ١٢٨،ت/ عبدالسلام هارون ،ط/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، " بدون " .

أبلغ في الذم ، وأحكم في الاستهجان ، وأدَلُّ على تناهي الدناءة عند هؤلاء اليهود المحتلين الغاصبين ، أما التعبير باليهود ففيه مدح لهم وتشريف بأنهم أهل كتاب ، وهذا لا يتناسب مع المقام والغرض الذي يقصده الشاعر.. ثم يرتقي الشاعر بنا فيقول :

فِي صَيْحَةٍ عَـذْرَاءَ شَـقَّتْ أُفْقَهَـا ∴ وَصَحَا الَوَجَوْدُ يَرَى ابْنَ مِصْرَ أَرْادَا

فيعمد إلى الأسلوب الخبري – أيضا – ليتكامل مع الأسلوب الخبري السابق في التأكيد على علو شأن هذا الجيش ، وبراعة جنوده ، ومن ثم عبر بأسلوب الاستعارة التصريحية [١] لتتحد مع الأسلوب الخبري في النهوض بالمعنى وتوفية المقام حقه ؛ حيث شبه وثبة الجيش المصري وعبوره للقناة وتدميره لخط " بار ليف " بصيحة العذراء التي شقت الأفق ، وحذف المشبه واستعار له المشبه به بجامع قوة الصيحة وهو وجه مفرد ، فتعالت صيحات النصر ، وكأنها صيحات برق ربانية يكبر كل فرد من أفراد الجيش قائلا " الله أكبر ، الله أكبر " ، واختير لفظ " العذراء " لأنه أمكن في التعبير ، وأدل على قوة الصوت ومتانته وسرعة اختراقه للحواجز ، وعبر بقوله : " **شَقَّتْ أُفْقَهَا** " للدلالة على مزيد قوة هذا الصوت ونفاذه في كل أنحاء الأفق من وجهة نظر الشاعر ، وأرى – والله أعلم – أنها ليست من الاستعارات الجيدة إذ ما وجه الشبه بين العذرية والصوت العالي ؟ فالشاعر جانبه الصواب في هذا التعبير ؛ لأن المقام هنا يستدعي مزيدا من المبالغة والقوة في تصوير اشتداد صوت الجيش المصري وقوته ، وأنه ملأ أركان المكان من حدته وشدته ، ولو قال " في صيحة برقاء شقت أفقها " لكان أنجع في الدلالة على علو الصوت وقوته ونفاذه حتى كاد المكان أن يتصدع من علو هذا الصوت وشدة تأثيره ، وعبر بأسلوب الاستعارة المكنية[٢] في الشطر الثاني :

وَصَحَا الَوَجَوْدُ يَرَى ابْنَ مِصْـرَ أَرَادَا

---

(١)ينظر : الإيضاح ٥ /. 37

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز صـ ٦٧ ، الإيضاح ٥ /١٢٤ .

ليتآلف مع الاستعارة التصريحية السابقة في توطيد المعنى وتوثيقه في نفوس المخاطبين ، فشبه الوجود بإنسان وأثبت له الصحو وهو اليقظة من النوم على سبيل الاستعارة المكنية ، لأنها أمكن في تجسيد المعنى المراد ، وتشخيصه في قلب السامع ، فالشاعر جعل الوجود أي سائر المخلوقات كأنها إنسان دبت فيه الحياة فاستيقظ من نومه صاحيا على هذه المعجزة الربانية التي صنعها الله – تعالى – على يد " ابن مصر " والمراد به الجندي المصري ، وعبر الشاعر بالمفرد " ابن مصر " وأراد الجمع " أبناء مصر " ، ليدل على اتحادهم في غرض واحد وهو القضاء على المستعمر حتى صاروا كأنهم فرد واحد ، للدلالة على تعاظم أفراد هذا الجيش وقوة بنيانه فكأن كل فرد فيه صار جيشا يصلح أن يتفاخر به ، ويمكن أن يكون ذلك من باب حذف المضاف بتقدير : أهل الوجود ، على نسق قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ **يوسف:** ٨٢ ، أي : أهل القرية (١) ، ومن الأهمية بمكان التنويه بشأن انتقاء الشاعر لجملة " ابن مصر أرادا " ؛ لأنها بيت القصيد ، فإدارة الشعب المصري أقوى من أي إرادة ، وعزمه أمكن في الذب عن وطنه ، والموت والتضحية بكل غال ونفيس من أجله ، وعبر بالفعل الماضي " أرادَ " للدلالة على تمكن الإرادة من أبناء هذا الشعب جيشاً وشعباً وإصرارهم على القتال في ساحة الوغي ليستردوا أرضهم وأرض العروبة المغتصبة ، وأن كل قطرة من دمائهم تجسد عزما وإرادة موثوقة في حبات قلوبهم تنمو كل لحظة ، ثم ترتقي نفس الشاعر فخرا وتمتلئ حبا وعزا بجيش وطنه فيقول :

عَبَرَ الْقَنَاةَ مِنْهُ فَيَالِقٌ مِنْهَا الْأُسُودُ تَحَرَكتْ إِرْعَادَا

حبات قلب الشاعر هنا تفيض اقتدرا وفخرا وافتخارا بجيش مصر العظيم، فعبر بالأسلوب الخبري بالجملة الفعلية " عبر القناة .." ، للتنويه بشأن الفيلق الأول من أبناء الجيش الذين اجتازوا حاجز الخوف ، ودافعوا عن الحق وعبروا القناة ،

---

(١) ينظر : المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير الجزري ، تحقيق / الشيخ / كامل محمد محمد عويضة ، ٧٩/٢،ط / دار الكتب العلمية بيروت، ط / أولى ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

وقال " عبر " ولم " سبح " مثلا ؛ لأنها أنسب لسياق الفخر والمدح بانتصار الجيش، فـ " الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى النُّفُوذِ وَالْمُضِيِّ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ: عَبَرْتُ النَّهْرَ عُبُورًا"[١]،والتنكير في قوله :" فيلقا " للتعظيم والتنويه بشأن هذه الكتيبة التي سطرت التاريخ العسكري بحروف من نور ، وأتى بأسلوب الاستعارة التصريحية[٢] في الشطر الثاني في قوله : " منها الأسود تحركت إرعادا " ، فاستعار الأسود لجنود هذا الفليق من الجيش ، لأنه أبلغ في تجسيد شجاعة هذا الجيش الذي خرج جنوده كالأسود لا يهابون الموت ، ويتسابقون إلى العبور والاشتباك مع العدو كالأسود الثائرة ، ولما كان الجو داخل المعركة مفعما بالحركة وجريان الجنود كالسيل عبر بقوله : " تحركت إرعادا " ؛ للدلالة على شدة حركة أفراد الجيش ومباغتتهم للعدو فملؤوآ قلوب العدو الإسرائيلي بالرعب والرهبة ، فزحف عليهم جيش مصر كالموت الذي يأتهم من كل مكان ، وعبَّر بصيغة " إفعال " في قوله : " إرعادا " لأنه أدل على كمال الرعب وتمكنه في قلوب العدو ، يقول ابن منظور: " الرِّعْدَة النافض يكون من الفزع وغيره وقد أُرْعِدَ فارتَعَدَ وتَرَعْدَد أَخَذته الرعدة والارتعاد الاضطراب تقول : أَرعده فارتعد .."[٣]، ثم يواصل الشاعر الحديث عن البطولات قائلا :

فُلْكُ الْعُبُورِ وَفَوْقَهَا نِيرَانُهَا ∴ فُتِحَتْ مَدَافِعُهَا تَمُورُ عَتَادَا

يتبارى الشاعر هنا في وصف أحداث المعركة بأسلوب رائق، فيصف بسالة الجنود وهم يعبرون القناة، فيجسد للسامع أدوات المعركة وشدة ضراوتها، فيصف حال الجنود وهم يركبون الزوارق ويعبرون بها القناة فيقول: " فلك العبور"؛ لينقل للمخاطبين مشاعر الحماس والإقدام على العدو، ويدقق في الوصف فيعبر بالجملة الحالية: "وفوقها نيرانها" فالواو هنا "واو" الحال ليصور لنا الفلك وحالتها أن نيرانها

---

(١) مقاييس اللغة ٤ /٢٠٧ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز صـ ٦٧ ، الإيضاح ٥ /٨٧ .

(٣) معجم لسان العرب ، لابن منظور١٧٩/٣، ط /دار صادر، بيروت، الطبعة/ الثالثة، ١٤١٤هـ .

فوقها؛ ليبرز لنا شجاعة الجنود المصريين وإصرارهم على تحرير أرضهم ؛ حيث إنهم خرجت من أفواه مدافعهم نيران قوية مدوِّية زلزلت قلوبَ العدو ، وأرهبت جنوده ، واستعمل الظرف " فوق " للدلالة على شدة القذائف المدفعية التي يطلقها جنود مصر على عدوهم ، لذا أوغل الشاعر في الوصف فقال :" **فُتحَتْ مَدَافِعُهَا تَمُوْرُ عَتَادَا** " ، أي : تضطرب ، والفلك هي التي فتحت مدافعها ، والتصوير هنا لهيئة المدافع التي يحملها جنود مصر الذين ركبوا الزوارق الحربية وشقوا القناة تجاه نقاط تمركز العدو على الضفة الشرقية للقناة ، وهذا أجود في تهيئة قلب السامع ، واستنطاق مشاعره ليعيش أجواء المعركة ، ويلمس تطوراتها وكأنه فرد من أفرادها ، ثم يختم الشاعر هذا المقطع بأسلوب فريد محكم النسج عذب الأسلوب فيقول :

وَالْطَائِراتُ نُسُوْرُهُنَّ تَحرَّكَت تَرْمِي الْعَدُوَّ .. أَجَابَتْ القُوَّادَا

يتحدث الشاعر هنا عن دور سلاح الطيران المصري في تلك الحرب ، فيستعمل أسلوب التشبيه الضمني البليغ(١) لملاءمته للمعنى المقصود، فشبه سرب الطائرات المصري الذي باغت العدو بضربة جوية محكمة بالنسور التي تحركت وأصابت أهدافها في وقت واحد ، ورمت عدوها وتغلبت عليه ، وهذا أمكن في بيان قوة الضربة ، وجودة إصابة الهدف ، والتقدير : والطائرات كالنسور تحركت ترمىّ العدو في وقت واحد محققة مراد القواد بإحكام ودقة ، فحذفت أداة التشبيه ، ووجه الشبه للمبالغة في اتحاد الطرفين وتمازج الوصف بينهما حتى كأن الطائرات أضحت نسورا حقيقة ، وهذا أسلوب تجريد – أيضا – يشي بدقة الشاعر وبراعته في انتقاء الألفاظ الدالة على مقصده ، ومن ثم تهيأت نفس المخاطب لتلقى نسمات الفخر لدى الشاعر في أبهى صورها ، فقال :

"سَيْنَا" **الْحَبِيْبَةُ عَانقَتْ جُنْدَ الفِدْى ∴ وَتَزَاحَمَت تَلْقَى الْعِدَى أَطْوَادَا**

---

(١) ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع المصري ١٩٥/١ ، ت /حفني محمد شرف، ط / الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

عبر الشاعر بأسلوب الاستعارة المكنية هنا، فشبه سيناء بالأم التي تشتاق لأبنائها بعد غيابهم عنها لفترة من الزمن ، وحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه ، وهو العناق على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا أبلغ في بيان اشتداد الود والشوق والحنين لدى " سيناء " الأم التي عانقت ابنائها جنود مصر ، وكأنها أم بلغ بها الحب شوقاً ، فراحت تعانق أبناءها فرحاً وعشقاً لفراقهم لها ورحيلهم عنها ، فنفس الشاعر تفيض انتصاراً واقتداراً وفخراً بهؤلاء النسور الذين باعوا أنفسهم لله – عز وجل – ولوطنهم ، والإضافة في قوله : " جند الفدا " للدلالة علو شأن جند العروبة الذين عزموا على الفداء أو النصر ، وإضافة " الفدى " لاسم الجمع " جند " لمزيد تشريفهم وتكريمهم ، وإعلاء لشانهم لكونهم أوفوا العهد مع الله قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾(١)، ثم يلهج لسان الشاعر بأسلوب الوصل عن طريق التوسط بين الكمالين لاتفاق الجملتين في الخبرية فعطف بـ " الواو " قوله : وَتزَاحَمَت تَلْقَى الْعِدَى أَطْوَادَا " على قوله : "سَيْنَا" الْحَبِيْبَةُ عَانقَتْ جُنْدَ الفِدْى" ؛ ليبرز اشتداد الصلة بين شوق سيناء بعودة أبنائها وبين تزاحمهم وقوة بأسهم ، وتوفيق الله لهم فسدَّدوا الرميَ ، وأحْكَمُوا فنونَ الحرب ،وهذا أبلغ في التعبير ، وأجود في الدلالة على اتحاد الأمرين معا .

(١) التوبة آية ١١١ .

المبحث الثاني

بلاغة التعبير عن فزع العدو الإسرائيلي من شجاعة الجيش المصري

توطئة : اشتمل هذا المبحث على ثلاثة عشر بيتاً من القصيدة(١)، صور فيها الشاعر هلع الجيش الإسرائيلي من جسارة الجيش المصري وإصراره على استرداد أرضه ، وطرد المحتل الغاصب الذي دنس أرض سيناء المباركة فقال :

"بَارْلِيْفُ" فُـزِّعَ صَـخْرُهُ وَجُنُـودُهُ ∴ لَمَّـا رَأَى جَـيْشَ الْفِـدَى آسَـادَا
عَبَرَتَ إِلَى شَـرْقِ الْقَنَـاةِ مُشَـاتُهَا ∴ حَمَلَـتْ عَتَـادَ فِـدَائِهَا اسْـتِعْدَادَا
صَرَخَ الْعَدُوُّ أُذِقْتُ نِيْـرَانَ الـرَّدَى ∴ يَا "جُوْلْدَمَائِيرُ".. انْدُبِي اسْـتِنْجَادَا
قَدْ دُمِّـرَتْ قُـوَّاتُ إِسْـرَائِيلَ فِـي ∴ دُشَـمِ لْبَـارْلِيفِ ..هَـوَتْ أَوْتَـادَا
جَيْشُ الْعُبُورِ أَصَابَنَـا فِـي مَقْتَـلٍ ∴ لَم نَدْرِ كَيْـفَ يُبِيْـدُنَا .. فَأَبَـادَا ؟
قُولِي لِأَمْرِيكَـا ابْعَثِـي مَـدَدًا لَنَـا ∴ إِنَّـا هُنَـا نَفْنَـى ..فَقَـدْنَا الـزَّادَا
إِنَّ ابْنَ مِصْرَ أُحِسُّ قُـوَّةَ بَـأْسِهِ ∴ يَبْغِي ثَـرَى "سَـينَا" إِلَيْـهِ مُعَـادَا
بَأْسُ الْـإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَـةِ وَالنُّهَـى ∴ بَلَغَ الْمَدَى .. مِمَّـا ابْتَغَـاهُ مُـرَادَا
قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ الَّتِي مِـنْ تَحْتِنَـا ∴ وَأَحَالَنَـا بَـدَدَا وَرَامَ حَصَـادَا
قَدْ قَـالَ شَـاعِرُهُ التُّهَـامِيْ قَوْلَـةً ∴ فَشَـفَى مِـنَ الأُمِّ الـرَّءُومِ فُـؤَادَا
وَأَنَـا أَقُـولُ لَـهُ أَثَـرْتَ حَمَاسَـةً ∴ بِجُنُودِ مِصْرَ .. وَعِـزَّةً .. وَسَـدَادَا
جَمَعَتْ بَنِيهَا مِصْرُ فِـي يَـدٍ وَثْبَـةٍ ∴ وَتَطَلَّعَـتْ تُحْيِـي بِهِـمْ أَمْجَـادَا
مِنْ عَالَمِ الْغَيْـبِ الْتَقَـتْ أَرْوَاحُهُـمْ ∴ حُبًّـا حَـوَى الْآبَـاءَ وَالْأَحْفَـادَا

عمد الشاعر هنا إلى الأسلوب الخبري فقال :("بَـارْلِيْفُ" فُـزِّعَ صَـخْرُهُ وَجُنُودُهُ)؛ لأنه الأنسب لتصوير شدة الفزع والهلع الذي لحق بجيش العدو الإسرائيلي لما رأي بسالة الجيش المصري ،وعبوره للقناة وتحطيمه خط "بارليف"، فجسد لنا أعظم اللحظات التي سُطرت في حرب أكتوبر، ومن ثَمَّ تلاقى أسلوب الاستعارة التمثيلية في البيت الأول مع الأسلوب الخبري الرئيس في التعبير عن

(١) ديوانه صـ ١٥ .

مرمى الشاعر ، فصور لنا حاجز خط " بارليف " الذي صنعه اليهود شرق القناة في هيئة كائن حي له شعور وإحساس وحركة ، فلما رأي " حاجز خط " بارليف " جنود مصر وهم لا يهابون ضخامته وارتفاعه الشاهق ، فُزّع ما عليه من صخور وجنود خوفا وهلعا وتشققا من شدة هول المفاجأة حتى كادت أن تنخلع قلوب جيش العدو من أجسادهم من هول ما رأت أعينهم من زحف الجيش المصري ، وإصراره على تحقيق النصر ، ومواصلة السير نحو قلاع العدو وتحطيمها بكل قوة وحماس ، قال ابن فارس :" الْفَاءُ وَالزَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا الذُّعْرُ، وَالْآخَرُ الْإِغَاثَةُ ، فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْفَزَعُ، يُقَالُ فَزِعَ يَفْزَعُ فَزَعًا، إِذَا ذُعِرَ. وَأَفْزَعْتُهُ أَنَا"[١]،وهذا من بديع الاستعارات التي تشي برهافة حسه وسمو مشاعره وتأثره بلغة القرآن الكريم قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ سبأ: ٢٣ ،واستعمل الفعل " فُزِّع " المبني للمجهول المشدد ، للدلالة على عظم هول الشيء المفزع وشدة ضراوته، وعطف قوله " فُزِّع صخره " على قوله : " وجنوده " للدلالة على استواء الفزع عند الطرفين : الصخر والجنود معا ، واستخدم الشاعر أسلوب الحذف ليتكامل مع أسلوب الاستعارة التمثيلية هنا فحذف المسند من قوله : " وجنوده " والتقدير : " وفُزِّع جنوده " لدلالة فحوى الكلام عليه ، وهذا أدل تناهى هذا الفزع وقوته على قلوب جيش العدو ، فامتلأت قلوب جنودهم خوفا ورعبا حتى كادت أن تنفطر أفئدتهم من هول مفاجأة جيش مصر لهم بالعبور ، والحذف هنا أبلغ من الذكر ، وأمكن في تهيئة قلب السامع وتوثيق المعنى في لبه ، " فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ، ثم أصيب به موضعه ، وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها ، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أَوْلى وآنس من النطق به " [٢]، وأضاف الشاعر كلمة " جيش " إلى " الفدى " ليشي بقوة إرادة وعزيمة جيش مصر ، وحرصه على نيل إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، وختم الشاعر عناصر الصورة بقوله : " أسادا " للمبالغة في التعبير عن قوة الجيش

(١) مقاييس اللغة ٤ /٥٠١ .

(٢) دلائل الإعجاز صـ ١٥٣ .

المصري وضراوته في إزالة حاجز " بارليف " وتدميره، وفتح ثغرات في كل جانب منه إيماء إلى أنه واصل المسير والحرب ليلا ونهارا وذلك عن طريق التشبيه البليغ الذي خلع فيه صور الآساد على جنود الجيش المصري، ثم جنح الشاعر إلى الأسلوب الخبري بالجملة الفعلية في البيت الثاني :

عَبَرَتَ إِلَى شَرْقِ الْقَنَاةِ مُشَاتُهَا ∴ حَمَلَتْ عَتَادَ فِدَائِهَا اسْتِعْدَادَا

ليمكن في نفس المخاطب عظمة الجيش وتماسك وحداته ، فذكر للسامع أن سلاح المشاة عبر إلى شرق القناة مستعينا بالله وحده حاملا عتاد الجند الذين أصروا على الفداء مستعدين أتم استعداد لمواجهة عدوهم بكل قوة وحماس ، وآثر التعبير بالجملة الفعلية لأنها أمكن في الدلالة على التجدد والحدوث ، وأبلغ في التعظيم والتمجيد من شأن هؤلاء الجنود الذين عبروا حاجز الموت مضحين بكل غال ونفيس حاملين عتاد الجيش مصرين على تحقيق النصر واستراد أرضهم ، وعبر بأسلوب الجناس الناقص(١) بين قوله : " عتاد " وهو مشتق من الفعل " عتد " والمقصود به هنا أسلحة الجيش ومعداته قال ابن منظور: "عتد: عَتُدَ الشيءُ عَتاداً، فَهُوَ عَتِيدٌ: جَسُم ..والعَتادُ: العُدَّةُ، وَالْجَمْعُ أَعْتِدَةٌ وعُتُدٌ ، قَالَ اللَّيْثُ: وَالْعَتَادُ الشَّيْءُ الَّذِي تُعِدُّه لأَمْرٍ مَا وتُهَيِّئُه لَهُ، يُقَالُ: أَخذ للأَمر عُدَّتَه وعَتادَه أَي أُهْبَتَه وَآلَتَهُ " (٢)، وقوله : " استعدادا " وهو مشتق من الفعل " استعد " والمقصود به تأهب الجنود لمواجهة جيش العدو المحتل ، وهذا أنسب للمقام ، وأجود للسياق ، وألصق بمراد الشاعر ، لأنه يهدف إلى إعلاء شأن جيش مصر وتمجيد بطولاتهم الخالدة ، والتأكيد على قوة جنود سلاح المشاة وصلابة عزيمتهم ، فضلا عن أن التعبير بالجناس الناقص قد أضفى على المعنى جرسا موسيقيا رائعا ينم عن حس أدبي مفعم بالفخر والاعتزاز ، ومن ثم عقب الشاعر كلامه السابق بصورة تمثيلية رائقة تمازجت فيها عدة أساليب للنهوض بالمعنى المراد ؛ ليثبت المعنى في نفس المتلقي أتم تثبيت وأحكمه، فيقول :

---

(١) ينظر : الإيضاح ٩٤/٦.

(٢) معجم لسان العرب ٢٨٩/٣ ، مادة " عتد " .

صَرَخَ الْعَدُوُّ أُذِقْتُ نِيْـرَانَ الـرَّدَى ∴ يَا "جُوْلْدَمَائِيرُ".. انْـدُبِي اسْـتِنْجَادَا
قَدْ دُمِّـرَتْ قُـوَّاتُ إِسْـرَائِيلَ فـي ∴ دُشَـمٍ لْبـارْلِيفٍ ..هَـوَتْ أَوْتَـادَا
جَيْشُ الْعُبُورِ أَصْابَنَـا فِـي مَقْتَـلٍ ∴ لَم نَدْرِ كَيـفَ يُبِيْـدُنَا .. فَأَبَـادَا ؟
قُولِي لِأَمْرِيكَـا ابْعَثِـي مَـدَدًا لَنَـا ∴ إِنَّـا هُنَـا نَفْنَـى ..فَقَـدْنَا الـزَّادَا

يمعن الشاعر هنا في تصوير المشاعر النفسية لجيش الاحتلال الإسـرائيلي الذي اشتد صراخ جنوده وقادته من شدة وقع المصيبة التي حلت بهم ، ومن هـول المباغتة التي باغتهم بها الجيش المصري ، ومن ثم عبر بالجملة الفعلية : " صَرَخَ الْعَدُوُّ " ؛ ليؤكد لنا علو صياح أصـوات جـيش الاحـتلال بالصـراخ والعويـل واستدامتهم على ذلك ، وآثر التعبير بالفعل الماضي " صرخ " لأنـه أمكـن فـي تصوير هول الأمر وشدته على قلوب جند الاحتلال ، قال ابن منظور : " صـرخ: الصَّرْخَةُ: الصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ عِنْدَ الْفَزَعِ أَو الْمُصِيبَةِ ، وَقِيلَ الصُّراخُ الصَّوْتُ الشَّـدِيدُ مَا كَانَ ؛ صَرَخَ يصرُخُ صُراخاً " [١]، فالفعل " صرخ " هنا أبلغ في الدلالة علـى تناهي الخوف والفزع ، فكأن جيش الاحتلال كله يصرخ ألما وحزنا من شدة إذاقة الهوان له على يد الجيش المصري فتكبد ضربات موجعة مؤلمة عمَّت كل أجـزاء جسمه ، ومن شدتها صورها الشاعر بأنها نيران الردى أي : الموت ، ولا ريب أن التعبير بأسلوب الاستعارة المكنية هنا أبلغ في الدلالة على دقة الضـربات وشـدة هولها على العدو لأن قذائف المدافع ورصاصات الجنود أصبحت كسـهام المـوت تفتك بكل جندي تقابله ، ومن ثم كان الذم هنا مسه أوجع ، ومسيسه ألذع ، وحـده أحد[٢]، والجدير بالذكر هنا أن الشاعر أضاف المفعـول " نيـران " إلـى قولـه : " الردى " لمزيد تعظيم وتشنيع هذه النيران ، وكأنها أيدى المنية تحصد كل ما تجد أمامها ، وعبر بالفعل الماضي " صَرَخَ " و " أُذِقْتُ" للدلالة على تحقـق الوقـوع ، ولجأ الشاعر إلى أسلوب الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل " أُذاقـتُ نيـران

(١) معجم لسان العرب ١٣٣/٣، مادة " صرخ " .
(٢) ينظر : كتاب أسرار البلاغة ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه / أبـو فهـر محمد محمود شاكر صـ ١١٥ ، ط /دار المدني بجده ، ط / أولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

الردى "، فاستعار الإذاقة لمعنى الإصابة أي : بيان ما نزل بالجيش الإسرائيلي من مكروه وما لحق به من هزائم ، كما ورد في قوله تعالى :﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ **النحل: ١١٢** ، فاستعار الفعل " ذاق " وهو في الأصل يستعمل لذوق الطعام ونحوه ، قال ابن فارس : " ذَوَقَ: الذَّالُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ اخْتِبَارُ الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّمٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجَازًا فَيُقَالُ: ذُقْتُ الْمَأْكُولَ أَذُوقُهُ ذَوْقًا ، وَذُقْتُ مَا عِنْدَ فُلَانٍ: اخْتَبَرْتُهُ ، وَفِي كِتَابِ الْخَلِيلِ: كُلُّ مَا نَزَلَ بِإِنْسَانٍ مِنْ مَكْرُوهٍ فَقَدْ ذَاقَهُ " [١]، وهذا أبلغ في التعبير ، وأجود في النظم ، وأدل على شمول ذوق الموت وانتشاره في أغلب أفراد الجيش الإسرائيلي المحتل الذي يرابط في سيناء ، واستخدم أسلوب النداء الحقيقي[٢] في قوله : " يا جولدمائير" [٣]، ليتعانق مع أسلوب الاستعارة المكنية والتبعية في نقل حالة الهلع والخوف والموت الذي أحاط بجيش العدو الإسرائيلي من كل مكان ، فصاح في صوت رجل واحد مناديا لرئيسة الوزراء طالبا منها العون والاستنجاد ليفر من بقى من الجند من الموت أو يأتي إليه مدد من الجيش ليدفع عنه الموت المحقق ، ونظرا لقوة المعنى هنا وارتفاع حركة تفاعل الشاعر بالمقام وفق في استعمال أسلوب الإنشاء في قوله :" انْدُبِي اسْتِنْجَادَا " فعبر بأسلوب الأمر المجازي[٤]؛ ليفيد تهافت الجند لطلب النجدة والمدد من رئيسة الوزراء الإسرائيلية ليدفعوا عن أنفسهم موتا محققا أحاط بهم من كل جانب ، وهذا أبلغ في بيان تهاوي عزيمة جيش العدو ، وخَوْرِ قوته أمام صلابة جيش العبور وتفانيه ، وبسالة جنوده ، وعبر بالمصدر " استنجادا " للمبالغة في بيان ضعف جيش العدو وخيبة أمله في غرور قادة جيشه الذين أكدوا لهم أن جيش مصر لن يستطيع عبور القناة أو تدمير جبل "خط بارليف " ،ثم يبرهن الشاعر على تهاوي عزيمة جيش العدو فيقول :

---

(١)مقاييس اللغة ٣٦٤/٢ .
(٢) ينظر : الإيضاح ٣ /٩١ .
(٣) رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك .
(٤) ينظر : الإيضاح ٣ /٨١ .

قَدْ دُمِّـرَتْ قُـوَّاتُ إِسْـرَائِيلَ فِـي ∴ دُشَـمٍ لْبـارْلِيفِ ..هَـوَتْ أَوْتَـادَا
جَيْشُ الْعُبُورِ أَصْابَنَـا فِـي مَقْتَـلٍ ∴ لَم نَدْرِ كَيـفَ يُبِيْـدُنَا .. فَأَبَـادَا ؟

يستخدم الشاعر هنا الأسلوب الخبري المؤكد بـ " قد " الداخلة على الفعل الماضي " دُمرت " ، للدلالة على تحقق الوقوع وتكامل أركان الهزيمة النفسية لدى ما تبقى من أفراد جيش الاحتلال ، وحذف الشاعر المسند إليه(١) من قوله " دُمرتْ"، وجاءت بصيغة المبني " للمجهول " تصوير شدة الهلع الذي أصابهم، فهم من شدة فزعهم وفرارهم لا يدرون من الذي يقوم بتدميرهم، ولعل هذا من سرعة المباغتة التي تميزت بها ضربات الجيش المصري ؛ لمزيد نقل مشاعر الخوف واللهفة التي سيطرت على جيش العدو فلم يقوَ على الكلام ، والنطق باسم الجيش المصري ، فالتقدير: قد دمرت قواتُ الجيش المصري قواتَ اسرائيل؛ وهذا أبلغ في الدلالة على شدة الكره والحقد الدفين في قلوب جيش العدو تجاه جيش مصر والمسلمين عموما ، وتلمس أن هذا الأسلوب المؤكد أمكن في التعبير عن ضراوة المعركة وأنه حمى فيها الوطيس ، فلقد دمرت كتائب العدو ودفنت في خنادق الدشم التي حفرت فوق خط "بارليف" مما جعلها تتهاوى في أعماق الأرض كالأوتاد التي سقطت في باطن الأرض ، ولعلك يروق لك أسلوب الكناية الذي تآلف مع الأسلوب الخبري المؤكد في قوله : " هوت أوتادا " للدلالة على اختفاء الجنود بمعداتهم من على سطح الأرض ، تأكيدا على شدة هجوم جيش مصر على جيش الاحتلال ومباغتته له ، ومن ثَمَّ همس الشاعر بلب مقصده فعبر بأسلوب الكناية ليتلاحم مع الأساليب السابقة في النهوض بالمعنى المراد ، فقال : " جَيْشُ الْعُبُورِ أَصْابَنَا فِي مَقْتَلٍ " ؛ ليومئ إلى اعتراف جيش الاحتلال بالهزيمة التامة التي لحقت به من جيش العبور ، وقوله: " جَيْشُ الْعُبُورِ " هنا كناية عن موصوف وهو الجيش المصري ، وسماه جيش العبور ليؤكد للسامعين أن عبوره للقناة كان أتم أسباب تحقق النصر ، ومفتاح الهزيمة للجيش الصهيوني ، بينما قوله : " أَصْابَنَا فِي مَقْتَلٍ " ، كناية عن صفة إحكام سيطرة الجيش المصري عليهم وهذا أبلغ في الدلالة على اعتراف جيش

(١) ينظر : الإيضاح ٢ /٤ .

العدو بإصابة الجيش المصري لهدفه ، وتمكنه من مراده ، وأنه هزم عدوه وأصابه في المحز ،وعبر الشاعر بأسلوب الاستفهام المجازي(١) في قوله:" لَم نَـدْرِ كَيـفَ يُبِيْدُنَا .. فَأَبَادَا ؟ " ليفيد تشتت جيش الاحتلال وتمام صدمته وهول أمره ، فجـيش مصر أباد الكثير من جنوده وقضى على أكثره ، فلم يدرِ عناصر جيش الاحـتلال كيف يُقضى عليهم ومن أين يأتي حتفهم ؟ وهذا أبلغ في التهويل وأمكن في الدهشة وأدل على سوء العاقبة التي لحقت بهم، ولعلك تلحظ أنَّ كلَّ هذه الأساليب البلاغية قد تعاضدت مع بعضها لتنقل لنا صورة تمثيلية تشع منها معالم الهزيمة والانكسار التي غلبت على قلوب من تبقى من جيش الاحتلال الإسرائيلي في أرض المعركة ، وهذا أمكن في الدلالة على انهيار قوى أفراد جيش الاحتلال ، وفقد الثقة التامة في قادته ، ثم يجسد الشاعر للمخاطبين مشاعر الهزيمة التي شملت كل أركان جـيش العدو فيقول :

قُـولِي لِأَمْرِيكَـا ابْعَثِـي مَـدَدًا لَنَـا ∴ إنَّا هُنَـا نَفْنَـى ..فَقَـدْنَا الـزَّادَا
إنَّ ابْنَ مِصْرَ أُحِـسُّ قُـوَّةَ بَـأْسِهِ ∴ يَبْغِي ثَـرَى "سَـينَا" إلَيْـهِ مُعَـادَا
بَـأْسُ الْـإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَـةِ وَالنُّهَـى ∴ بَلَغَ الْمَدَى .. مِمَّـا ابْتَغَـاهُ مُـرادَا
قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ الَّتِـي مِـنْ تَحْتِنَـا ∴ وَأَحَالَنَـا بَـدَدَا وَرَامَ حَصَـادَا

هنا يستصرخ جيش العدو الإسرائيلي قواده لطلب النجدة والمدد من حليـف اليهود الأكبر " أمريكا " ويقصد بها دولة الولايات المتحدة الأمريكية ،ومن ثم عبر بأسلوب الأمر في قوله: قولي لأمريكا " وقوله :" ابعثي مددا لنا "؛ لأنه أبلـغ فـي تهيئة نفوس السامعين وتشويقهم إلى أن جنود الاحتلال في الميدان قد انهزموا شـر هزيمة ، فورد الأمر هنا لبيان تلهف جند إسرائيل لطلب النجدة والمدد في حلـيفهم أمريكا لمواجهة هذا السيل الجارف الذي أحاط بهم من كل جانب ، وهذا أبلغ فـي تأكيد تمكن الهزيمة واستحكام الانتصار عليهم ، ولما كان السياق هنا يفوح بمعاني الذلة والانهزام الذي لحق بجيش إسرائيل في سيناء عمد الشاعر إلى أسلوب الكناية

(١) ينظر : الإيضاح ٣ /٧١ .

ليتمازج مع أسلوب الأمر في توثيق المعنى وتوطيده في أفئدة المخاطبين ، فكنى عن صفة استحكام حصار الجيش الإسرائيلي وفناء أكثر جنده بقوله :

إنَّـــا هُنَـــا نَفْنَـــى .. فَقَـــدْنَا الـــزَّادَا

والتأكيد بـــ " إنَّ " والظرف " هنا " والفعل الماضي " فقدنا " أبلغ في الدلالة على انهيار مكونات العدو ، وانحطاط عزم جنده، فالمنية أنشبت أظفارها وأزهقت أرواح أكثر الجيش ودفن في الرمال ، ومن تبقى كاد يموت جوعا وعطشـــا لفقـــده الزاد والماء فضلا عن نفاذ سلاحه من الذخيرة ، مما استدعى طلبه للزاد والمدد في سرعة البرق حتى لا يفنى بالكلية على يد جيش مصر ، ولعلك تلمس أن بين قوله : " نفنى " ، وقوله : " فقدنا الزاد " طباق خفي فمعنى نفني أي نموت حقيقة ونفني من شدة الجوع والعطش ، وفقدنا الزاد أي فقدنا الماء والطعام اللذين هما مســـتلزمات الحياة مما يعنى أنهم سيموتون جوعا وعطشا إن لم يمدوا بالزاد والعتاد ، وهذا أبلغ تأكيد على انهيار الجيش الإسرائيلي وتهوى قوته ،وتفتت بنيته النفســـية ،وتخـــبط جنوده لذا عَقَّبَ الشاعر في البيت الذي يليه بالأسلوب الخبـــري المؤكـــد " بـــإنَّ " واسمية الجملة في قوله :

إنَّ ابْنَ مِصْرَ أُحِـــسُّ قُـــوَّةَ بـــأْسِهِ يَبْغِي ثَـــرَى "سَـــينَا" إِلَيْـــهِ مُعَـــادَا

ليتآزر مع الأساليب السابقة للنهوض بالمعنى وفاء بحق المقـــام فـــي هـــذا السياق، فالشاعر يتحدث على لسان العدو فيؤكد للسامعين أن أبناء الجيش المصري مصرون عازمون على استرداد أرضهم ، والانتقام لشرف عروبتهم ، وهذا أبلـــغ في تصوير شدة البأس وقوة الإرادة والتمسك بالحق ، وعبر بالمفرد فـــي قولـــه : " ابن مصر" ، وأراد الجميع " أبناء مصر " والمراد بهم الجنود لعلاقة الجزئيـــة ، مما يشي بتماسك الجيش المصري وتعاضده حتى صار كالجندي الواحـــد ، وهـــذا أمكن في تصوير قوة البأس وكمال الإرادة على تحقق النصر ، فتآزر المجاز مـــع الأسلوب الخبري في توثيق معاني الخوف والرهبة والذل والهوان التي تغلغلت في عقول جيش العدو ، كما أنك تلحظ أن التعبير بالكناية في قوله : " ابن مصر " وهو كناية عن موصوف وهم جيش مصر ، والتعبير بالجملة الفعلية في الشطر الثاني :

" يَبْغِي ثَرَى "سَينَا" إِلَيْهِ مُعَادَا " ؛ أبلغ في تصوير قوة بأس جيش مصر ، وامتزاج قوة أفراده ، وتماسك عزيمتهم ، وإصرارهم على استرداد الحق ، والتعبير بالفعل المضارع " يبغي " هنا أمكن في الدلالة على استمرار سعى الجيش المصري لتحرير أرض سيناء من المفسدين المحتلين وتجدد هذه النزعة فيهم ،والتعبير بالمضارع هنا أبلغ من التعبير بالاسم لأن " الفعل يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء" [(١)]، وهذا ما يستدعيه السياق هنا وبتطلبه المقام ، والبيت كله يصلح أن يكون كناية عن نسبة انتصار الجيش المصري عليهم وإصراره على استرداد أرضه مهما كلفه الأمر ، ثم يستعمل الشاعر الأسلوب الخبري الممزوج بأسلوب الكناية في قوله :

بَأْسُ الْإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالنُّهَى ∴ بَلَغَ الْمَدَى .. مِمَّا ابْتَغَاهُ مُرادَا

قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ الَّتِي مِنْ تَحْتِنَا ∴ وَأَحَالَنَا بَدَدَا وَرَامَ حَصَادَا

ليمكن مرمى مراده في أذهان السامعين، فيذكر الشاعر أن قوات العدو قد قتلهم الرعب ، وأمسك الوهن بقلوبهم ، فشلت أيديهم ، وخارت قواهم فلهجت ألسنتهم بما يجول في خاطرهم ، ومن ثم عبروا بالأسلوب الخبري الخال من التأكيد في البيت الأول : " بَأْسُ الْإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالنُّهَى.. " ؛ ليؤكدوا لقادتهم أن جند مصر قد توحدت كلمتهم وامتزجت أرواحهم فصاروا متفقين أنَّه لا مناصَ من كسر شوكة العدو ، ورَدِّ أرض سيناء من أيديهم ، فبلغوا الغاية في الاجتماع على استرداد الأرض لا يبغون عن ذلك حولا ، وتلحظ هنا أن الشاعر قد تأثر بالمتنبي في هذا المعنى يقول :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بزائدي وُدّا ∴ بَلَغَ المَدَى وَتَجاوَزَ الحَدَّا[(٢)]

مما يشي بسعة اطلاع الشاعر على أشعار السابقين وتأثره بنتاجهم الأدبي غير أن الشاعر وظف هذا التأثر لتحقيق مرماه ، فصاغ مراده بأسلوب فذ وكأن

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ١٧٤ .

(٢)البيت ورد في قصيدة " الخلائق الشريفة " . ديوان المتنبي صـ ٢٣ ، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م " بدون " .

المعنى قد ولد مرة أخرى من نسج الشاعر وخياله ،ثم يعقب الشاعر بأسلوب الكناية ليتآلف مع الأسلوب الخبري في بث روح المعنى في نفس المتلقي فيقول على لسان العدو : "قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ الَّتِي مِنْ تَحْتِنَا " ؛ وهي كناية عن صفة القهر التام للجيش الإسرائيلي على يد جيش مصر وأنه قد زلزل الأرض بهم وحصد أرواحهم حصدا ، وأحالهم جيفا في صحراء سيناء ، فتكاملت الألوان البلاغية هنا في تأكيد ذلة اليهود وهزيمة جيشهم ، وتهاوي عزيمتهم .

ولعلك تلمس براعة الشاعر في استعمال الأسلوب الخبري عن طريق الجملة الفعلية المؤكدة بـــ " قد " في قوله :

قَدْ قَالَ شَاعِرُهُ التُّهامِيْ قَوْلَةً ∴ فَشَفَى مِنَ الأُمِّ الرَّءُومِ فُؤَادَا

لأنه أبلغ في التأكيد على مرمى المتكلم ، وأنه بلغ الغاية في المفاخرة بالنصر المبين الذي تحقق على يد أبناء وطنه ،وعقب بأسلوب الكناية لكونه أمكن في الدلالة ،وأجود في المعنى ليتآزر مع الأسلوب الخبري المؤكد فقوله : " فَشَفَى مِنَ الأُمِّ الرَّءُومِ فُؤَادَا " ، كناية عن صفة إصابة الهدف وتهدئة رَوْعِ الأم الثكلى بما قاله الشاعر " محمد التهامي" [١] في قصيدته " العبور الكبير " في حق من استشهد من جنود مصر والعرب في هذه المعركة الحاسمة ، وقال : "فؤادا" ولما يقل "قلبا"؛ لأن فقد الابن يناسبه الفؤاد لأن ثمرة فؤاد كل إنسان ابنه فـ " الفؤاد كالقلب لكن يقال له: إذا اعتبر فيه التفود ، أي : التوقد .. قال تعالى : ﴿**مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰ**﴾ **النجم: ١١** " [٢]،ولما تلاقت نفس الشاعر فرغلي مع الشاعر محمد التهامي عطف عليه قوله :

وَأَنَا أَقُولُ لَهُ أَثَرْتَ حَمَاسَةً ∴ بِجُنُودِ مِصْرَ .. وَعِزَّةً .. وَسَدَادَا

---

(١) الشاعر محمد التهامي ، شاعر مصري معاصر ، ولد بمحافظة المنوفية عام ١٩٢٠ م ، درس القانون ، واشتغل بالمحاماة وعمل مديرا لجريدة الجمهورية . ينظر: ترجمة الشاعر في كتاب معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، جمع وترتيب هيئة المعجم ، المجلد الرابع / مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري صـ ٣٨٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ٦٤٦/١ ، ت / صفوان عدنان الداودي ، ط / دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط / أولى ١٤١٢م .

ليوطد المعنى في نفس المخاطبين ، وينقل لهم مشاعر العزة والاعتزاز مؤكداً أنَّ ما قاله الشاعر السابق قد آثر حمية الجند ، وأشعل حماستهم ، ثم يتقن الشاعر فيستعمل أسلوب الاستعارة التمثيلية في البيت التالي فيقول :

جَمَعَتْ بَنِيهَا مِصْرُ فِي يَدِ وَثْبَةٍ ∴ وَتَطَلَّعَتْ تُحْيِي بِهِمْ أَمْجَادَا

مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ الْتَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ ∴ حُبًّا حَوَى الْآبَاءَ وَالْأَحْفَادَا

من يتأمل هذين البيتين يجد أن الشاعر قد جسد لنا فيهما " مصر " وصورها في هيئة أُمٍّ تجمع أبناءها في يد واحدة وتحثهم على التعاضد والتكاتف وعدم ترك كل واحد منهم للآخر ، وتهيأت لتحيي بهم مجدها التليد ، وتاريخها المشرق ، والتعبير بالاستعارة هنا أحكم في الدلالة على تماسك كتائب الجيش المصري ، وعظمة قائده الرئيس محمد أنور السادات – رحمه الله – الذي أصرَّ على استرداد الأرض وعودة الكرامة للعرب جمعيا ، ومن الدقائق البلاغية هنا استعمال الشاعر لكلمة " جمعت " لأنها أكمل في التعبير عن حسن الجمع ، وتآلف أفراده ، وقدم الشاعر المفعول به " بنيها " على المسند إليه الفاعل " مصر " فأصل التعبير : جمعت مصر بنيها ، لمزيد التنبيه والتنويه بشأن اجتماع كلمة جنود مصر على تحقيق النصر واسترداد الأرض المحتلة من العدو الصهيوني ، وهذا أبلغ في التشويق وأكمل في التأكيد ، وعبر بالقيد " في يد وثبة " ؛ إيماء إلى الحكمة التي كان من أجلها الجمع وهي تطهير الأرض من دنس المحتل ، وانتقى الفعلين المضارعين " تطلعت "، و" تحيي" في الشطر الثاني وجمع بينهما في قوله : "وَتَطَلَّعَتْ تُحْيِي بِهِمْ أَمْجَادَا " ؛ للمبالغة في تصوير تجدد التطلع والإحياء واستمرار الرغبة لإعادة الأمجاد لدى كل فرد من أفراد الجيش المصري ، فكأن كل قطرة دم فيهم تفيض شوقا لإعادة أرض سيناء ، وتلتهب نارا لتحقيق النصر ، وأرى أنَّ تعاقب الفعليين قد بث روح اليقظة في السامعين ، فجسدت أمامه معالم جنود مصر وكأن السامع يرى أحداث المعركة بأم عينه ، ثم يعمد الشاعر إلى رسم ألوان الصورة في قوله:

مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ الْتَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ ∴ حُبًّا حَوَى الْآبَاءَ وَالْأَحْفَادَا

إنَّ جنود مصر التقت أرواحهم بإذن الله في عالم الغيب فامتزجت حبا وذابت ألفة ، جمعت الآباء والأجداد ، فكأنما انصهر الجيش المصري بقدرة الله –تعالى – فصار يدور في بوتقة واحدة حبا وتآلفا ، وهذا أبلغ في التعبير ، وأعمق في الأسلوب ، وأمكن في الدلالة ، والتعبير بأسلوب الكناية في البيت من الوضوح بمكان ، فالبيت كناية عن تعاضد الجيش المصري واجتماعه على كلمة سواء ، فكأنهم في تآلفهم وتوادهم وتراحمهم كالجسد الواحد .

المبحث الثالث

بلاغة التعبير عن عودة الكرامة للعروبة كلها بنصر أكتوبر

توطئة : ورد حديث الشاعر عن هذه الفكرة في خمسة عشر بيتا من القصيدة [1] ،صور فيها فخره بجيش وطنه الذي أعاد بهذا النصر الكرامة ،والأمجاد المسلوبة للأمة العربية بأكملها فقال :

النَّصْرُ آتٍ رَفْرَفَتْ رَايَاتُهُ ∴ مِنْ بَدْرٍ الْكُبْرَى .. تَحُثُّ جِيَادَا
وَالْقَادِسِيَّةُ .. أَرْسَلَتْ أَبْطَالَهَا ∴ لتُصَافِحَ الْيَرْمُوكَ وَالْقُوَّادَا
قُوَّادُ يَعْرُبَ فِي ثَرَى حِطِّينِهَا ∴ وَتُعَانِقَ الْعَرَبِيُّ ثَمَّ تِلَادَا
وَتُصَافِحَ الْمِصْرِيُّ يَوْمَ عُبُورِهِ ∴ حِينَ اسْتَعَادَ الْأَرْضَ رَاحَ وَعَادَى
ذِكْرَى الْعُبُورِ رَنِينُهَا فِي خَاطِرِي ∴ وَصَدَاهُ شَنَّفَ لَحْنُهُ الْآمَادَا
حِقَبٌ مِنَ التَّارِيخِ تَرْوِي نَصْرَهُ ∴ وَتُعِيدُ مِنْ آثَارِهِ إِرْفَادَا
نَصْرُ الْعُبُورِ لَنَا أَعَادَ كَرَامَةً ∴ فُقِدَتْ زَمَانًا .. أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا
تَحْكِي لَنَا صُوَرَ الْبُطُولَةِ وَالفِدَى ∴ فِي خَيْرِ مَعْرَكَةٍ سَمَتْ أَبْعَادَا
نَادَى بِهَا بَطَلُ الْعُبُورِ .. عُرُوبَتِي ∴ أَرْضِي .. بِهَا مَجْدُ الْخُلُودِ تَنَادَى
أَلْقَتْ "بِدَيَّانٍ" وَفَاجِرِ عُصْبَةٍ ∴ فِي نَارِهَا الْحَرَّى تُبِيدُ فَسَادَا
حَرَّرْتُ أَرْضِي مِنْ عَدُوٍّ غَاصِبٍ ∴ وَرَفَعْتُ هَامَةَ أُمَّتِي إِسْعَادَا
جَيْشُ الْغُرُورِ أَصَابَهُ خِزْيُ الْمَدَى ∴ وَفَتَى الْعُبُورِ بُطُولَةً وَجِهَادَا
زَادَ انْتِزَاعُ النَّصْرِ مِنْ آفَاقِهِ ∴ يَومَ الْعُبُورِ .. بُطُولَةً وَجِهَادَا
"سَيْنَا" عَلَيْهَا رَفْرَفَتْ آمَالُهَا ∴ يَوْمَ اسْتَرَدَّتْ أَرْضَهَا اسْتِرْدَادَا
وَرَنَا زَعِيمُ عُبُورِهَا نَحْوَ الْعُلَا ∴ يُعْلِي لِرَايَاتِ الْعُبُورِ عِمَادَا

الشاعر هنا يسبح في أعماق التاريخ فيذكر السامعين بالنصر الذي حققه النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون في غزوة بدر الكبرى ، وكيف كان النصر

(١) ديوانه صـ ١٥ ، وما بعدها .

حليف أهل الحق والصراط المستقيم ، ومن ثم عبر بالأسلوب الخبري بالجملة الاسمية الخالية من التأكيد : " النَّصْرُ آتٍ رَفْرفَتْ رَايَاتُهُ .. مِنْ بَدْرٍ الْكُبْرَى تَحُثُّ جِيَادَا " ؛ ليؤكد للسامعين أن النصر على الأعداء قد رفرفت علاماته منذ غزوة بدر الكبرى ، وهذا أمكن في الدلالة على أن تحقق النصر على العدو الإسرائيلي آتٍ لا ريبَ فيه ، فالله – عزَّ وجل – وعد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمته بالنصر المبين ، قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ **غافر: ٥١** ، وهذا أبلغ في حث المخاطبين على مواصلة الانتصارات والمداومة على الأخذ بأسبابها ، وبيان استحقاق هذه الأمة بالنصر الخالد ، وأمكن في ترهيب العدو الصهيوني وبث الرعب في صفوف جنوده وقادته للإيماء إلى أن الهزيمة والخسران المبين ستكون عاقبتهم ؛ لذا عبر الشاعر بالفعل المضارع " تَحُثُّ " ؛ للمبالغة في تجدد حث الأبطال الجياد على استلهام أسباب النصر من البطولات التي حققها الأجداد في أعماق التاريخ لا سيما غزوة بدر الكبرى ،وأجاد الشاعر في التعبير بالمصدر في قوله :" جِيَادَا " لأنه أبلغ في بث روح اليقظة في نفوس أبناء الجيش المصري تأكيدا على أنهم الجياد في الحرب واسترجاع الحق ، وقوله : " تَحُثُّ جِيَادَا " كناية عن صفة حث جيوش الأمة العربية لاستعادة مجدهم التليد تشجيعا لهم على الصمود ليكونوا مثل أسلافهم المسلمين كالجسد الواحد لا يملُّ ولا يكلُّ في الزود عن الحق، ثم يبحر الشاعر في عبق التاريخ فيذكر المخاطبين بانتصار المسلمين في معركة " القادسية "[١] على الفرس، ومعركة " اليرموك " [٢]

---

(١) وقعت معركة القادسية بين المسلمين والفرس سنة ١٦هـ، ٦٣٧م ، وانتصر فيها المسلمون . ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري ٤٨٠/٣ ، وما بعدها ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ ثانية ، ط / دار المعارف بمصر " بدون " .

(٢) وقعت معركة اليرموك بين المسلمين والروم سنة ١٥هـ ، وقيل : سنة ١٣ هـ، وانتصر فيها المسلمون .ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الذهبي ١٣٩/٣ ، وما بعدها ،ت/ عمر عبدالسلام التدمري ، الناشر / دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ثانية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

على الروم ، فيعمد إلى أسلوب الاستعارة التمثيلية فيصور لنا أبطال معركة القادسية وهم أحياء قد دبت فيهم الروح وعادوا من قبورهم يصافحون جنود معركة اليرموك، ليجسد لنا الترابط الديني بين أبناء الأمة ، ويبدع الشاعر في هذا المشهد التخيلي فيخيل للسامع أن القادسية قد أصبحت إنسانا له حركة وحياة ، فأرسلت أبطالها من قبورهم ليصافحوا جند معركة اليرموك وقوادها ، ثم يجتمع قواد يعرب في ثرى موقعة " حطين " ليعانقوا أبطال العرب وفرسان مصر في معركة أكتوبر ، تشجيعا لهم ، وتقوية لقلوبهم حتى يثبتوا في ميدان الوغى ، ويواصلوا المسيرة في استعادة الأرض وصون الكرامة ، كما أن فيه افتخارا واعتزازا بجيش مصر الذي عبر واستعاد الكرامة والشرف :

وَالْقَادِسِيَّةُ .. أَرْسَلَتْ أَبْطَالَهَا ∴ لِتُصَافِحَ الْيَرْمُوكَ وَالْقُوَّادَا
قُوَّادُ يَعْرُبَ فِي ثَرَى حِطِّينِهَا ∴ وَتُعَانِقَ الْعَرَبِيُّ ثَمَّ تِلَادَا
وَتُصَافِحَ الْمِصْرِيُّ يَوْمَ عُبُورِهِ ∴ حِينَ اسْتَعَادَ الْأَرْضَ رَاحَ وَعَادَى

وهذه من الاستعارات التمثيلية الرائقة التي تمكِّن المعاني في أذهان المخاطبين ، وتشي ببراعة الشاعر وحسن سَبْكِهِ ، فلقد جمع أبطال المسلمين عبر القرون في مكان واحد بصورة محكمة النسج عذبة المبنى جيدة المغزى ، ويتحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن قيمة التمثيل إذا أتى في أعقاب المعاني كما في هذا السياق فيقول : " وإن كان افتخارا ، كان شأْوُه أَمدْ ، وشرَفه أَجَدّ ، ولسانه أَلَدّ "[1] ، وهذا ألصق بسياق القصيدة .

ثم يعمد الشاعر إلى الأسلوب الخبري الخال من التأكيد كعادته فيقول :

ذِكْرَى الْعُبُورِ رَنِينُهَا فِي خَاطِرِي ∴ وَصَدَاهُ شَنَّفَ لَحْنُهُ الْآمَادَا
حِقَبٌ مِنَ التَّارِيخِ تَرْوِي نَصْرَهُ ∴ وَتُعِيدُ مِنْ آثَارِهِ إِرْفَادَا
نَصْرُ الْعُبُورِ لَنَا أَعَادَ كَرَامَةً ∴ فُقِدَتْ زَمَانًا .. أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا
تَحْكِي لَنَا صُوَرَ الْبُطُولَةِ وَالفِدَى ∴ فِي خَيْرِ مَعْرَكَةٍ سَمَتْ أَبْعَادَا

(١) كتاب أسرار البلاغة صـ ١١٥ .

الشاعر استعمل هنا أسلوب الاستعارة المكنية فشبه ذكرى عبور الجيش المصري للقناة بالموسيقى الهادئة الجميلة وحذف المشبه به ، وأبقى شيئا من لوازمه وهو الرنين والصدى أي تردد الألحان في الأذن مثبتا إياه للمشبه " ذكرى العبور " على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا من نوادر الاستعارات الشعرية وأجودها ، لمناسبتها للمقام والسياق ، فذكرى العبور تحولت إلى سيمفونية موسيقية يطرب لها قلب الشاعر ، وتهفو لها روحه ، فصار رنينها عبيراً في خاطره ، وتردد صداها حتى أمسى لحنا فريدا يتجدد في كل ذكرى ، وهذا أمكن في التصوير ، وأدق في تثبيت الصورة في قلب السامع ، ثم يجنح الشاعر لأسلوب الاستعارة المكنية مرة أخرى فيصور لنا حقب التاريخ وكأنها صارت إنسانا يتحدث وينطق ويروى أحداث نصر أكتوبر، ويردد ويعيد تلك الآثار الكريمة التي وقف عندها التاريخ واستعيدت فيها الكرامة، ثم يعمد الشاعر إلى أسلوب الاستعارة المكنية الذي يكاد ينطق حسنا ورقة وجمالا فيقول:

نَصْرُ الْعُبُورِ لَنَا أَعَادَ كَرَامَةً ∴ فُقِدَتْ زَمَانًا .. أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا

فصور لنا نصر العبور وكأنه إنسان فارس شجاع أعاد الكرامة للأمة العربية بعدما ضاع هذا النصر ردحا من الزمان ، وهذا أكمل في التجسيد ، وأجود في التصوير ، وألصق بالمقام ، وأضاف النصر هنا إلى قوله : " العبور " لمزيد تشريف هذا النصر وتكريمه بكونه تحقق بعبور المستحيل ، وأكتمل بعبور القناة ، وتلحظ أن كلمة " العبور " تكررت في القصيدة أحد عشر مرة ،لإشعار السامعين بشدة احتفائه بالعبور وأنه مفتاح النصر الذي سطر به جيش مصر أكبر ملحمة تاريخية في العصر الحديث ارتوت بدماء أبطال مصر الشرفاء وجنودها العظماء ، ومن دقائق النظم التعبير بالفعل الماضي " فُقِدَتْ " ، للدلالة على تجشم الاستعمار على صدر " سيناء " ردحا طويلا من الزمن كأنها قد ضاعت فيه ، إيماء إلى قسوة الاحتلال الإسرائيلي ومحاولته تغيير الهوية لسكانها رغبة منهم في تهويد تلك الدرة الغالية من أرض مصر ، ثم يعقب الشاعر باستعارة مكنية رائقة لتتعانق مع أختها في تصوير المعنى ونقشه على قلب السامع فيقول : " أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا " فيشبه عودة

كرامة العرب بنصر أكتوبر بالشجرة الطيبة المثمرة ، وحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهو الأعواد المثمرة المعبر عنها بقوله :" أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا " مثبتا إياه للمشبه الكرامة على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا أبلغ في الدلالة ، وأنسب للسياق، وأدل على أن نصر أكتوبر قد أينعت ثماره في قلوب الأحرار الشرفاء من أبناء العرب الذين يحرصون على تحرير أرضهم من طغيان الاحتلال الصهيوني أسوة بأخوتهم المصريين ، ثم يمعن الشاعر في التصوير فيصور أعواد الكرامة التي عادت من نصر أكتوبر بإنسان له لسان يحكى للسامعين صور البطولات والتضحيات التي تحققت على أيدي جنود مصر في خير معركة غيرت مجرى التاريخ الحديث ، واستعمل الشاعر أسلوب الفصل عن طريق شبه كمال الاتصال فلما كان قوله في عجز البيت السابق : " أَيْنَعَتْ أَعْوَادَا " مثيرا لسؤال في نفس السامع مفاده ما شأن هذه الأعواد ؟ فأجيب بقوله في البيت الذي يليه :

تَحْكِي لَنَا صُورَ الْبُطُولَةِ وَالفِدَى ∴ فِي خَيْرِ مَعْرَكَةٍ سَمَتْ أَبْعَادَا

للمبالغة في شأن هذه الأعواد التي أثمرت وأينعت ، فدبت فيها الحياة لتحكي لنا صور البطولة والفداء ، وملحمة النصر التي كانت منحة من نصر الله ، وتلمس أن ثمة تآلفا بين هذه الأساليب البلاغية مع بعضها ، فآتت كل منها أكلها مرتين : مرة مستلقة وأخرى متعانقة مع الأساليب الأخرى كالحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها، ووفق الشاعر في التعبير بالفعل المضارع" تحكي " للدلالة على تجدد الحديث وتردده عبر القرون عن معجزة أكتوبر ودوام ذلك على ألسنة العالم أبد الدهر، وهذا أكمل في المبالغة ، وأجود في النظم ، وأشار إلى تعاظم هذا النصر عن غيره فقال:" سَمَتْ أَبْعَادَا "، للتأكيد على أن ذلك النصر سيظل ذكرى سامقة ضاربة في جذور التاريخ ، ثم يمدح الشاعر الرئيس محمد أنور السادات – رحمه الله – بطل الحرب والسلام ، وقائد الجيش المصري آنذاك فيقول :

نَادَى بِهَا بَطَلُ الْعُبُورِ .. عُرُوبَتِي ∴ أَرْضِي .. بِهَا مَجْدُ الْخُلُودِ تَنَادَى
أَلْقَتْ "بِدَيَّانٍ" وَفَاجِرِ عُصْبَةٍ ∴ فِي نَارِهَا الْحَرَّى تُبِيدُ فَسَادَا
حَرَّرْتُ أَرْضِي مِنْ عَدُوٍّ غَاصِبٍ ∴ وَرَفَعْتُ هَامَةَ أُمَّتِي إِسْعَادَا

الشاعر يَعْمَدُ هنا إلى الأسلوب الخبري بالجملة الفعلية في البيت الأول : " نَادَى بِهَا بَطَلُ الْعُبُورِ عُرُوبَتِي.. " ، لأنه أبلغ في الدلالة على غاية المدح وأكمل في الأسلوب لوفائه بالغرض المؤم وأعمق في المعنى ،وعبر بأسلوب الكناية عن موصوف في قوله : " بطل العبور " فكنى به عن الرئيس الراحل محمد أنور السادات – رحمه الله – وإضافة البطل إلى العبور لمزيد تشريف وتعظيم له لكونه أول من أشار بالبدء في العبور ومهاجمة العدو ، وإضاقة الضمير " الياء " في قوله: " عروبتي " " أرضي "،للدلالة إصراره وتصميمه على استراد أرض العروبة المحتلة ، كما أن فيه تعظيما وتشريفا له بإضافته إليها فكأنها صارت قلبه الذي ينبض به ، ودمه الذي يجري في عروقه ، وروحه التي يحيا بها ، وعبر بأسلوب التقديم في قوله :" نَادَى بِهَا بَطَلُ الْعُبُورِ " فقدم القيد " بها " على المسند إليه الفاعل " بطل العبور "،فأصل التعبير : نادى بطل العبور بها عروبتي.. لمزيد تنبيه السامع ولفت انتباهه إلى شجاعة الرئيس الراحل ، وأنه أول من أمر بالعبور لرد الكرامة، وسحق العدو، وكرر الشاعر القيد " بها " مرتين ، لتأكيد المعنى وتقويته في قلب السامع أتم تأكيد" نادى بها ..بها مجد الخلود "، للإيماء إلى مكانة " سيناء " في قلب الرئيس ، وأنه عازم لا مناص على تحرير أرض الخلود ، ودحر العدو ، وتحقيق النصر ، والتعبير بأسلوب التكرار هنا أبلغ لأنه " إذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا تنتهى بقبوله حقيقة ناصعة ، وللتكرار تأثير في عقول المستنيرين ، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى ، والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية ، التي تختمر في أسباب أفعال الإنسان ، فإذا انقضى شطر من الزمن نسى الواحد منا صاحب التكرار ، وانتهى بتصديق المكرر "[١]، ثم عبر الشاعر بالجملة الفعلية في البيت التالي :

أَلْقَتْ "بِدَيَّانٍ" وَفَاجِرِ عُصْبَةٍ ∴ فِي نَارِهَا الْحَرَّى تُبِيدُ فَسَادَا

(١) روح الاجتماع ، تأليف الدكتور / جوستاف لوبون وترجمه أحمد فتحي زغلول باشا ،صـ ١٣٩ ط / المطبعة الرحمانية ، وينظر : من بلاغة القرآن ، تأليف / أحمد أحمد بدوي صـ ١٤٣ ، ط / دار نهضة مصر " بدون " .

وانتقى الفعل الماضي " أَلْقَتْ "بِدَيَّانٍ" " [1]"؛ للتأكيد علـى أنَّ رئيسـة وزراء إسرائيل " جلودا مائير " وقادة الجيش قد غرروا بقائد الجيش " موشى ديان" ومـن معه من عصبة الفجور وشياطين الإنس فألقوا بهم في نار تحرق الأنفس وتقضـي على الرجال فتبديهم إبادة تامة وتجتث فسادهم من جذوره ، ولعلك تلحظ أن هـذا البيت قد اشتمل على أسلوب استعارة تمثيلية فشبه الشاعر هيئة وحال رئيسة وزراء إسرائيل وقادة جيش العدو وهم يلقون بقائد الجيش ومن معه من الجنود في هـلاك الحرب بحال وهيئة من يلقى شيئا في النار المحرقة التي تبيده وتقضي عليه بجامع الإهلاك والإبادة في كل، والتمثيل هنا أمكن في التجسيم والتشـخيص ، وأدق فـي لفت أذهان السامعين وتمكين المراد في قلوبهم أتمَّ تمكينٍ ،ويمكن أن يكون الكـلام على حقيقته ويكون قوله :" أَلْقَتْ "بِدَيَّانٍ" وَفَاجِرِ عُصْبَةٍ " على حقيقته ويكون المراد ألقت الحرب بديان ومن معه من عصبة الفجار في نار الحرب والهزيمة فأبـادتهم وقضت على أكثرهم، وحمل الكلام على التمثيل أبلغ وأنسب للسياق والمقام ؛ لأنه يمكن مراد الشاعر ويوثقه أتم توثيق وأحسنه ، فيبقى المعنى خالدا في قلب السامع لما فيه من تصوير وتجسيم للمعنى المراد ، وإضافة " فاجر " إلـى اسـم الجمـع " عصبة " أدلُّ على المبالغة في الذم ، وكمال الفجور والفسق في جنود الاحتلال ، وعبر باسم الفاعل " فاجر " دون غيره لأنَّه أبلغ في الدلالة على ثبات هذا الوصف ودوامه فيهم ، وأنه أتم وأثبت .

ثم تتعالى صيحات النصر في قلب الشاعر ، فتفيض قريحته بمعان تخلد في لوح محفوظ فيقول :

جَيْشُ الْغُرُورِ أَصَابَهُ خِـزْيُ الْمَـدَى ∴ وَفَتَـى الْعُبُـورِ بُطُولَـةً وَجِهَـادَا

زَادَ انْتِـزَاعُ النَّصْـرِ مِـنْ آفَاقِـهِ ∴ يَومَ الْعُبُـورِ .. بُطُولَـةً وَجِهَـادَا

"سَـيْنَا" عَلَيْهَـا رَفْرَفَـتْ آمَالُهَـا ∴ يَوْمَ اسْـتَرَدَّتْ أَرْضَـهَا اسْـتِرْدَادَا

وَرَنَا زَعِـيمُ عُبُورِهَـا نَحْـوَ الْعُلَـا ∴ يُعْلِـي لِرَايَـاتِ الْعُبُـورِ عِمَـادَا

(١) يقصد الشاعر " موشى ديان " قائد الجيش الإسرائيلي آنذاك .

الشاعر هنا يجنح إلى الأسلوب الخبري الذي اتخذه مطيَّة رئيسة لتجسيد مشاعره وأحاسيسه المفعمة بمعاني الحب والوفاء لوطنه ،فيقول :" جَيْشُ الْغُرُورِ أَصَابَهُ خِزْيُ الْمَدَى .." ؛ وآثر التعبير بالجملة الاسمية الخالية من المؤكدات ليشوق السامعين إلى ما أصاب جيش إسرائيل من غرور آل بهم إلى هزيمة وخلان ؛ليبرز التضاد بين ما أصاب جيش المحتل وما ظفر به جيش العبور ، وعبر بالجملة الاسمية لأنها أوثق وأثبت في إثبات أن جيش الاحتلال المغتر بقوته قد أصابه خزي الهزيمة وذل العار، وهذا أدل على ثبات الهون والإذلال بحق هذا المحتل إلى قيام الساعة بما قدمت يداه ، وبما اقترف من مجازر وسفك لدماء الأبرياء ،ومن ثم عبر بأسلوب المقابلة بين اثنين[١] ليتكامل مع الأسلوب الخبري في النهوض بالمعنى ، والوفاء بحق المقام ،فقابل بين قوله : " جَيْشُ الْغُرُورِ " وقوله : " وَفَتَى الْعُبُورِ " وبين قوله : " أَصَابَهُ خِزْيُ الْمَدَى " وقوله : " بُطُولَةً وَجِهَادَا "،وهذا أكمل في بيان ما آل إليه أمر الفريقين فجيش العدو اغتر وسعى في الأرض فسادا فكان جزاؤه الخزي والمهانة إلى قيام الساعة ، والثاني جيش دافع عن عرضه وعبر نهر الموت ابتغاء تحرير أرضه ، والذَّب عن كرامة عروبته ، فأجزل الله له العطاء وأكرمه بطولة في الدينا ،وحسن جزاء في الآخرة ، ولعلك تلحظ أن الشاعر قال في الشطر الثاني" وَفَتَى الْعُبُورِ" ولم يقل : جيش العبور ؛ للمبالغة في الثناء على كل جندي من جنود مصر لكونه أصرَّ على عبور القناة حتى ولو مات غرقاً أو لَقِيَ حتفه ، وقابل بين قوله : " جَيْشُ الْغُرُورِ " وقوله : " وَفَتَى الْعُبُورِ " ليبرهن على التباين بين الجيشين إيماء إلى ضعف الأول وصلابة وجسارة الثاني ، وقوله :"وَفَتَى الْعُبُورِ " هنا كناية عن موصوف" الجيش المصري " وعبر الشاعر بأسلوب الحذف ليتآلف مع التعبير بالمقابلة والأسلوب الخبري بالجملة الاسمية فحذف الشاعر المسند من قوله : " وَفَتَى الْعُبُورِ بُطُولَةً وَجِهَادَا " والتقدير : وفتى العبور أصاب بطولة وجهادا؛ ليوثق في أذهان السامعين ما منَّ الله به على جيش مصر فلقد جمع بين أمرين تعاظم فيهما الأجر وأسبغ الثواب ، فخلد الله ذكرى انتصاره في الدنيا

(١) الإيضاح ٦ /١٦ ، وما بعدها .

وأعطاه ثواب المجاهدين في الآخرة ، واستعمل الشاعر أسلوب الجناس المضارع[١] بين كلمة " الغرور " وكلمة " العبور " ، فحرف الغين والراء في قوله : " الغرور " متقارب في المخرج مع العين والباء في قوله " العبور " ؛ ليبرز التباعد بين حال الفريقين فالأول مغرور بنفسه ، والثاني عبر بثقة بربه ، ومن ثم عمد الشاعر إلى أسلوب الاستعارة المكنية في البيت التالي في قوله :" زَادَ انْتِزَاعُ النَّصْرِ مِنْ آفَاقِهِ "، فشبه انتزاع جيش مصر للنصر المحفوف بالمخاطر ، بتخليص شيء من شيء ملتصق بالآفات والمهالك بجامع استخراج شيء من شيء آخر وتخليصه منه ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الآفات مثبتا إياه للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية ، قال الزبيدي : " نزع : نَزَعَهُ من مَكانِه نَزْعاً: قَلَعَه، فهُوَ مَنْزُوعٌ، ونَزِيعٌ.. وفَرَّقَ سِيبَوَيْهِ بَيْنَ نَزَعَ وانْتَزَعَ، فقالَ: انْتَزَعَ: اسْتَلَبَ، ونَزَعَ: حَوَّلَ الشَّيءَ عنْ مَوْضِعِهِ وَإِن كانَ على نَحْوِ الاسْتِلابِ "[٢]، وهذا أبلغ في الدلالة على تجشم جيش مصر العناء في تحقيق هذا النصر ، والمحافظة عليه ،وأكمل في الدلالة على صعوبة تحقيقه لما فيه من المخاطرة بمصير أمة كانت تتلهف للذود عن كرامتها ،واسترداد شرفها ،ثم عمد الشاعر إلى أسلوب التكرار فكرر قوله : " بُطُولةً وَجِهَادَا " مرتين في هذا البيت والبيت السابق له ، لِيُؤَكِّدَ للسامعين أن أعظم ثمار العبور هي السبق إلى البطولة والشرف ، ونيل ثواب الجهاد ، وهذا أكرمُ ما منَّ الله به على جيش مصر في تلك الحرب المقدسة ، ثم تهيأت نفس الشاعر لبث روح اليقين والطمأنينة في نفوس أحرار أمته فلجأ إلى أسلوب الاستعارة المكنية في قوله :

"سَيْنَا" عَلَيْهَا رَفْرَفَتْ آمَالُهَا ∴ يَوْمَ اسْتَرَدَّتْ أَرْضَهَا اسْتِرْدَادَا

فشبه آمال النصر التي تحققت في سيناء بالعلم الذي يرفرف وحذف المشبه به ، وأبقى شيئا من لوازمه وهو الفعل " رفرف " مثبتا إياه للمشبه على سبيل

---

(١) الإيضاح ٦ /٩٦ ، وما بعدها .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ٢٣٩/٢٢ ، ت / مصطفى حجازي ، وراجعته / لجنة فنية من وزارة الإعلام بالكويت ، ط / دار الهداية " بدون "، مادة " نزع " .

الاستعارة المكنية ،للمبالغة في تشخيص هذه الآمال وتصويرها في صورة المحسوس الذي يُرى بالعين مرفرفا في أرض " سيناء " ، تعظيما وتكريما لهذه الآمال التي صارت حقائق وثوابت أتت أكلها ضعفين ، فكأنها قد تجسدت أعلاما ترفرف فرحا بهذا النصر المبين ، وكرر الفعل " استردت " ومصدره " استردادا "؛ لمزيد تأكيد معنى الاسترداد وتقويته في نفوس المخاطبين ، إيماء إلى أن ذلك أتم عزّ أعزَّ الله –تعالى – به أمة العرب ، فلقد كان فضل الله عليها عظيما لا سيما بهذا الحق المبين ، وكرر الشاعر حرف الراء في هذا البيت خمس مرات " رفرفرت .. استردت أرضها استردادا " ؛ لِيُوَثِّقَ في قلوب المخاطبين مدى الفرحة والاعتزاز بهذا الأمل الذي تحقق وانكشف ضوؤه ، وهلَّت أنواره على أرض سيناء الحبيبة .

ثم يعمد الشاعر إلى أسلوب حسن التخلص[١] في البيت الأخير من هذا الجزء من القصيدة فيقول:

وَرَنَا زَعِيمُ عُبُورِهَا نَحْوَ الْعُلَا ∴ يُعْلِي لِرَايَاتِ الْعُبُورِ عِمَادَا

ليوضح للسامعين مغزى حديثه ، فيدمج بين الفخر والمدح ، فيهلج لسانه بالمبالغة في مدح الرئيس السادات – رحمه الله – بطل العبور ، وزعيم الأمة ، فيكني عنه بقوله : " زعيم العبور " الذي يشيد رايات العبور ، ويعلي من شأنها ، وذلك أكمل في التجسيم ، وأجود النظم ، وأبلغ في المدح " لأن السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع ، وأعان على اصغائه إلى ما بعده ، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس"[٢] .

---

(١) حسن التخلص : هو " الانتقال مما شبب به الكلام من تشبيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما " .
الإيضاح ٦/ ١٥٣ .

(٢) الإيضاح ٦ /١٥٣ .

ومن دقائق النظم هنا استعمال الشاعر للفعل الماضي " رنا " أي : أدم النظر، للمبالغة في مدح الرئيس السادات – رحمه الله – الذي تفحص وداوم النظر في العلى بغية نيل أعلى درجات النصر وأتمها قال الخليل : " رنو: رنا يَرْنُو إليها رُنُوّا، إذا نظر إليها، ورَنَوْته أَرْنُوه رنا ورُنُواً فأنا ران .. وأرنى إرناء: نظر ورنا، أي: أدام النَّظَر " [١] ، وهذا أبلغ في المدح ، وأكمل في الفخر ، وأدل على علو الهمة .

* * * * * *

(١) كتاب العين ٨/٢٧٤ .

المبحث الرابع

بلاغة التعبير عن ذكرى نصر أكتوبر وأنه أحيا الأمل في أبطال فلسطين

توطئة : تناول الشاعر هذه الفكرة في تسعة أبيات من القصيدة [١]، جسَّدَ فيها مشاعره الوطنية مذكرا أبناء وطنه بنصر أكتوبر وأنه أحيا الأمل في أبطال فلسطين، وبث روح التضحية في أحرار الأمة فيقول :

هي أمةٌ عربيةٌ .. وبُطُولةٌ ∴ شَقَّتْ طَرِيقَ خُلُودِهَا .. آبَادَا
وَالْيَوْمَ فِي أَعْيَادِ ذِكْرَى نَصْرِهَا ∴ نُمْلِي قَضِيَّةَ مَجْدِهَا مِيلَادَا
وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْضُ بَقِيَّةٍ ∴ شِبْلُ الْحِجَارَةِ رَوَّعَ الْجَلَّادا
يَرْمِي الْعَدُوَّ بِعُقْرِ دَارِ غُرُورِهِ ∴ وَيَرُدُّهُ عَنْ أَرْضِهِ مِقْدَادَا
حَجَرٌ وَصَارُوخٌ لَهُ دَبَّابَةٌ ∴ وَأَزِيزُ طَائِرَةٍ أَشَدُّ عِنَادَا
الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالٌ تَغْتَدِي ∴ كُلٌّ غَدَا لِعَدُوِّهِ صَيَّادَا
يَرْمِي شِبَاكَ الصَّيْدِ فِي تَنُّورِهَا ∴ لِيَصِيدَهُ أَو يَبْلُغَ اسْتِشْهَادَا
هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِهِ مَعَ غَاصِبٍ ∴ يُصْمِي الدِّيَارَ وَيَصْرَعُ الْأَكْبَادَا
لِلْحَرْثِ يُهْلِكُ ظَالِمًا مَعْ نَسْلِهِ ∴ أَرَأَيْتَ "شَارُونًا" أَحَسَّ رُقَادَا؟!

بدأ الشاعر هذه الأبيات بالأسلوب الخبري بالجملة الاسمية الخالية من التأكيد ليوثق غرضه في قلب السامع بأسلوب محكم فقال :" هي أمةٌ عربيةٌ وبطولةٌ "؛ للمبالغة في تعظيم شأن الأمة العربية والتنويه بأمرها ؛ لأنها تماسكت في حرب أكتوبر فصنعت مجداً حُفِرَ على جُدران التاريخ العسكري بحروف من نور، والتعبير بالجملة الاسمية هنا أبلغ من التعبير بالفعلية ؛ "ولكون الاسم دالا على الثبوت كان الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل فقولك : "هو مطلع" أقوى وأثبت من قولك : "هو يطلع" .. فإن قولك: هو مطلع يدل على تمكن الصفة من صاحبها وثبوتها فيه ورسوخ صاحبها في هذا الوصف " [٢]، وعمد الشاعر إلى

(١) ديوانه صـ ١٦ ، وما بعدها .

(٢) معاني الأبنية في العربية ، للدكتور / فاضل صالح السامرائي صـ ١٤، ط / دار عمار للنشر والتوزيع – عمَّان – الأردن ، الطبعة / الثانية ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٨ م .

أسلوب الاستعارة المكنية ليتآزر مع الجملة الاسمية فشبه الأمة العربية في تماسكها وتعاضدها بإنسان شق طريقه للخلود أبدا فقال : " شَقَّتْ طَرِيقَ خُلُودِهَا آبَادَا " ؛ تعظيما وتشريفا للنصر الذي تحقق على يد أبناء هذه الأمة ، فاتحدَ جيش مصر مع جيش سوريا وصقور فلسطين وهاجموا العدو من عدة جبهات في وقت واحد ، وساندت الدول العربية تلك الحرب بالمال والعدة والمقاتلين ، ومن ثم كان النصر حليفا للأمة العربية في تلك المعجزة الخالدة التي سطرت اتحاد الأمة وإصرارها على رد الحق وصون الكرامة، وعبر الشاعر هنا بالفعل " شقَّ " في قوله:" شَقَّتْ طَرِيقَ خُلُودِهَا آبَادَ "؛ لأنه أبلغ في التعبير عن تجشم الأمة للصعاب في تلك الحرب ، وتؤكد على ذلك الاستعارة في قوله :" شَقَّتْ طَرِيقَ خُلُودِهَا "، أي إنها تحملت الكثير من الخسائر في الأنفس والثمرات كما أنها ابتليت بشيء من الخوف والجوع لكنها تجرعت مرارة الهزيمة فصبرت ونالت الجزاء الأوفى من رب العزة – سبحانه– قال ابن فارس : " شقَّ : الشِّينُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْصِدَاعٍ فِي الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ وَيُشْتَقُّ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِعَارَةِ ، تَقُولُ شَقَقْتُ الشَّيْءَ أَشُقُّهُ شَقًّا، إِذَا صَدَعْتَهُ " [(١)]،وعبر بصيغة الجمع " آبادا "؛ لإفادة الدوام والثبوت ، للإمعان بدوام تحقق الخلود بهذا النصر وثبوته أبد الدهر ، فالأمة العربية عبرت من اليأس إلى الثقة ومن الخوف إلى برد اليقين بهذا النصر المبين ، ولذلك عبر بصيغة الجمع ولم يعبر بالصيغة المعهودة " أبدا " رغم وفائها بالغرض المراد ، قال الجوهري : " الأبَد: الدهر، والجمع آبادٌ وأبودٌ. يقال أَبَدٌ أبيدٌ، كما يقال دهرٌ داهرٌ "[(٢)] ، ثم يجنح الشاعر إلى أسلوب الوصل في البيت الثاني بطريق التوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية في قوله : "وَالْيَوْمَ فِي أَعْيَادِ ذِكْرَى نَصْرِهَا " فيعطفه على البيت السابق : " هي أمةٌ عربيةٌ وَبُطُولةٌ " بالواو ؛ ليبالغ في

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٧٠/٣ مادة " شقَّ " .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٤٣٩/٢ ، ت / أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، مادة " أبد "، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

الفخر والافتخار بهذا النصر الذي يعد ميلادا جديدا لبطولات الأمة الخالدة ، وصفحة مشرقة في سجل انتصاراته ، فذكرى النصر هيجت نفس الشاعر، وألهبت مشاعره ،وفجرت ينابيع عروبته المتأصلة في قلبه ،وانتقى الشاعر الفعل المضارع: " نُملى "للدلالة على تجدد هذا الإملاء واستمراره على مرّ العصور ، فما زالَ نصر أكتوبر هو المعين الخالد الذي ينهل من رحيقه أحرار هذه الأمة ،ثمَّ يلهب الشاعر حماس أبناء أمته العربية ويحرك حبات قلوبهم بأسلوب آخاذ يفوح منه شذى المسك وعبير الصمود فيقول :

وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْضُ بَقِيَّةٍ ∴ شِبْلُ الْحِجَارَةِ رَوَّعَ الْجَلَّادا

يَرْمِي الْعَدُوَّ بِعُقْرِ دَارِ غُرُورِهِ ∴ وَيَرُدُّهُ عَنْ أَرْضِهِ مِقْدَادَا

حَجَرٌ وَصَارُوخٌ لَهُ دَبَّابَةٌ ∴ وَأَزِيزُ طَائِرَةٍ أَشَدُّ عِنَادَا

تلحظ أن الشاعر آثر التعبير بأسلوب الإيجاز بالحذف فحذف جواب الشرط[١] من البيت الأول : " وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْضُ بَقِيَّةٍ " ، والتقدير : فهم الشباب الفلسطينيون المناضلون .. والحذف هنا أبلغ في الدلالة على إعجاب الشاعر بهؤلاء الفرسان الأحرار الذين سلكوا نهج أبطال العبور وساروا على دربهم قصْداً لتحرير أرضهم من المحتلين الغاصبين أسوة بإخوانهم أُسد أكتوبر المجيد، فالحذف هنا أبلغ من الذكر، وأدل على تفاني هؤلاء الشبان في البطولة والشرف والسؤدد ،ثم يستعمل الشاعر أسلوب الفصل عن طريق شبه كمال الاتصال[٢]، فلما كان قوله في الشطر الأول : " وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْضُ بَقِيَّةٍ " ، مثيرا لسؤال في نفس المتلقي مفاده ما شأن هؤلاء البقية من أبطال بيت المقدس ؟ فأجاب عن هذا السؤال في الشطر الثاني: " شِبْلُ الْحِجَارَةِ رَوَّعَ الْجَلَّادا " ؛ ليدفع السامعين إلى تعالى قدر هذا الفتى الذي يدافع بحجر عن كرامة أمته ، ولعلك تدرك براعة الشاعر في أنه استعار قوله: " شبل الحجارة " للشاب الفلسطيني المناضل عن دينه وأرضه ، فشبه كل شاب فلسطيني مناضل بالشبل أي : الأسد الصغير الجسور وحذف المشبه وادعى

(١) المثل السائر ٢/٨٤ .

(٢) ينظر: الإيضاح ٣ /١١٩ .

أن المشبه به فرد من أفراد المشبه وداخل في جنسه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية في الاسم ، وأضاف المشبه به " شبل " إلى قوله " الحجارة " للإيحاء إلى ضعف سلاحه لكنه أقوى في الهجوم وأمكن في مواجهة العدو المتغطرس وكسر شوكة غروره ، لذا عقب بأسلوب الإطناب عن طريق الاحتراس[1] بقوله : " روع الجلادَا" ، فلما كان قوله : " شبل الحجارة " موهما أن ذلك أدل على ضعف سلاح الشباب الفلسطيني المقاتل وهوانه أمام التفوق العسكري للجنود الإسرائيليين وأن ذلك لا يؤثر فيهم ، دفع ذلك الإيهام بقوله : " روع الجلادا " ، لدفع ذلك التوهم وانتزاعه من أصله ، فيثبت لدى السامع أن ذلك الشبل المتمثل في الشاب المقدسي الذي يواجه العدو بالحجارة قد بث الرعب والوهن في قلوب جنود الصهاينة المحتلين فباتوا في رعب لا يزول ، وألحق بهم الهزيمة والخسران، والاحتراس هنا من الضرب الذي وقع في آخر الكلام ، واستعار " الجلاد " هنا للجندي الإسرائيلي الذي يجلد أبناء فلسطين بدون وجه حق زعما منه أنه صاحب الأرض ، وتصوير الشاعر جنود الاحتلال بهذه الوصف الشنيع أبلغ في التبشيع وأحكم في الدلالة على خسة هذا المحتل وسوء معتقده ، فهو يجلد أصحاب الأرض بلا رأفة ولا رحمة ، ولا تفريق بين شاب أو كهل أو امرأة أو طفل .. وهذا أدل على تناهي كفره ،وسوء معتقده وتمادي غدره .

وأرى – والله أعلم – أنَّ الشاعرَ لم يحالفه الحظ في هذا البيت ؛ لأنَّه عبَّرَ بالمفرد " شبل الحجارة " ولو عبر بصيغة جمع التكسير: " أشبال الحجارة روعوا الجلادا " ؛ لكان أبلغ ، وأنسب للغرض ، لأن المقام هنا مقام فخر ومدح وهذا يتطلب المبالغة والتكثير في المعاني ، والإفراط في الفخر بأفعال هؤلاء الأبطال الكرام الذي لا يهابون المنية ، ولا يخشون بطش الجلاد ، ويمكن أن يكون مقصد الشاعر من التعبير بالمفرد الدلالة على أنهم جميعا اتحدوا على هدف واحد فصاروا شخصا واحدا .

---

(١) الاحتراس : هو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفعه . الإيضاح ٣ /٢٠٨ .

وآثر الشاعر التعبير بأسلوب الالتفات [١] لأنه جنح من الغيبة في قوله : " وَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْقُدْسِ بَعْضُ بَقِيَّةٍ " إلى الخطاب في قوله : " شِبْلُ الْحِجَارَةِ رَوَّعَ الْجَلَّادا " ، فلم يقل " يروع الجلادَ " ؛ لتنشيط ذهن السامع ، وإثارة حواسه ، وتملك ملكاته النفسية ، وإعلاءً لشأن هؤلاء الشباب الأحرار الذين يناضلون نيابة عن الأمة، فكأن الشاعر عبر بصيغة الإفراد ليشي بشدة إعجابه واعتزازه بكل فرد من هؤلاء الرجال المناضلين بالحجر أمام طوفان العدو وغزارة أسلحته ، ثم ينزع الشاعر إلى التصوير بالألفاظ ذات الإيحاء والرمز ليرسم لنا صورة لذلك الشاب المناضل فيقول :

يَرْمِي الْعَدُوَّ بِعُقْرِ دَارِ غُرُورِهِ ∴ وَيَرُدُّهُ عَنْ أَرْضِهِ مِقْدَادَا

حَجَرٌ وَصَارُوخٌ لَهُ دَبَّابَةٌ ∴ وَأَزِيزُ طَائِرَةٍ أَشَدُّ عِنَادَا

الشاعر هنا يمدح شباب فلسطين الأحرار الذين ظلوا على نهج أسلافهم في مواجهة عدوهم حتى الموت أو الشهادة ، فيعمد إلى الأسلوب الخبري بالجلمة الفعلية " يَرْمِي الْعَدُوَّ بِعُقْرِ دَارِ غُرُورِهِ "؛ لأنه أبلغ في التصوير ، وأمكن في الرمز والإشارة ، وأدل على شجاعة هؤلاء الفتية الذين لا يهابون الموت ، ولا يخافون عذاب المحتل، ولا يخشون ملاقاته ، فيأخذون الحجارة ويهاجمون عدوهم في عقر داره من غير خوف أو انكسار ، وعبر بالفعل المضارع " يرمي " دون الماضي " رمى " مثلا ؛ للدلالة على كمال تشريف هذا المجاهد باستمراره على الرمي وتجدده ومداومته عليه ، وأضاف قوله : " دار " إلى قوله : " غروره " للتنبيه على أن هؤلاء المحتلين ليسوا أصحاب أرض إنما هم غاصبون لملك غيرهم مغترين بصلابة جيشهم ،ثم يعبر الشاعر بأسلوب الوصل عن طريق التوسط بين الكمالين ليتحد مع الجملة الفعلية في توطيد المعنى ونقشه في قلوب السامعين ، فيعطف الشطر الثاني :" وَيَرُدُّهُ عَنْ أَرْضِهِ مِقْدَادَا " على قوله : " يَرْمِي الْعَدُوَّ بِعُقْرِ دَارِ غُرُورِهِ "؛ لاتفاق الجملتين في التعبير بالجملة الفعلية ، فأبان الشاعر بهذا العطف أنَّ

(١) ينظر : الإيضاح ٨٥/٢ .

غاية هذا الشاب المناضل بهذا الرمي الزَّوْدُ عن أرضه واسترداد حقه لا البغي والسعي للإفساد ، وتلك من مُلح الشاعر وتفننه في عرض أفكاره فنفى عن أبطال فلسطين وسم " الإرهاب " الذي طالما وصف جنود الاحتلال ومن عاونهم فرسان فلسطين به رغبة منهم في دحض عزيمتهم وكسر شوكتهم، كما أن في التعبير بصيغة " مقدادا " دلالة على شدة إصرار أهل فلسطين على رد حقهم وتطهير أرضهم من المحتل ، فأصل الفعل " قدد " يدل على غاية القطع المستأصل قال ابن منظور : "القَدُّ: الْقَطْعُ المستأْصِلُ والشَّقُّ طُولًا " (١).

ثم يتخذ الشاعر أسلوب الحذف وسيلة لتصوير مآربه وبث فكره في لب السامع فيلجأ إلى حذف الجملة الاسمية من قوله في البيت التالي :

حَجَرٌ وَصَارُوخٌ لَهُ دَبَّابَةٌ ∴ وَأَزِيزُ طَائِرةٍ أَشَدُّ عِنَادَا

فيمكن أن يكون قد حذف الشاعر من هذا الكلام أكثر من جملة فيكون التقدير: المجاهد الفلسطيني يملك حجرا وعدوه له صاروخ ودبابة .. وأزيز طائرة .. " ، والحذف هنا أبلغ من الذكر لأنه أدل على عدم تساوى الفريقين في السلاح لكن أحرار فلسطين مصرون على استرداد أرضهم مهما كلفهم ذلك ، كما أنك تلحظ أن قوله : " أشد عنادا " أدل على بلوغ اليهود الغاية في العناد والقتل وسفك دماء أصحاب الأرض والتعالي عليهم والنيل من كرامتهم ، وتدنيس أرضهم المباركة .

ثم يعمد الشاعر إلى تصوير جسارة أبطال فلسطين ، وأنهم لا يهابون الموت ، ويترصدون لعدوهم كل مرصد فيقول :

الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالٌ تَغْتَدِي ∴ كُلٌّ غَدَا لِعَدُوِّهِ صَيَّادَا

يَرْمِي شِبَاكَ الصَّيْدِ فِي تَنُّورِهَا ∴ لِيَصِيدَهُ أَو يَبْلُغَ اسْتِشْهَادَا

هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِهِ مَعَ غَاصِبٍ ∴ يُصْمِي الدِّيَارَ وَيَصْرَعُ الْأَكْبَادَا

لِلْحَرْثِ يُهْلِكُ ظَالِمًا مَعْ نَسْلِهِ ∴ أَرَأَيْتَ "شَارُونًا" أَحَسَّ رُقَادَا؟!

(١) لسان العرب ٣/٣٤٤ مادة " قدد " .

الشاعر في البيت الأول يتخذ أسلوب الإيجاز بالقِصر[١] أسلوبا رئيسا لتثبيت مبتغاه في قلوب المخاطبين في قوله : " الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالٌ " ؛ فأغنت هذه الجملة عن كلام كثير مفاده أن الحرب بينهما لا تثبت على حال فأحيانا ينتصر شباب فلسطين على عدوهم بأمر الله تعالى ، وأحيانا يكون النصر حليف لجنود الاحتلال ليبتلي الله المؤمنين الصالحين في أرض بيت المقدس ، والإيجاز بالقِصر هنا أشعل قريحة المخاطبين ونقل لهم أحداث المعركة وكأنها ماثلة أمام عيونهم تتأرج بين النصر والهزيمة ، وتلحظ أن قوله " الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالٌ " فيه اقتباس من الحديث النبوي عن عبدالله بن عباس " .. فزعمت أنَّ الحربَ سجال ودول"[٢] ، والاقتباس[٣] أضفى على المعنى هنا بهاء وجمالا أثرى من خلاله الشاعر الفكرة ، ووثَّقَ الغرض ، ليلهب مشاعر المناضلين من أبناء فلسطين ، لِيُؤَكِّدَ لهم أنَّ الرسلَ ابتليت قبلهم لكن كانت لهم العاقبة ، ثم يعمد الشاعر إلى أسلوب الفصل عن طريق كمال الاتصال ليتعانق مع الأسلوب الرئيس في توطيد المراد وتمكينه في نفس المتلقي ، فتلمس أن الشاعر فصل بين الجملة الاسمية :" الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالٌ " وبين الجملة الفعلية : " تغتدي .. كل غدا لعدوه صيادا " ؛لأن الجملة الثانية بمثابة التأكيد المعنوي للجملة الأولى[٤]، فالحرب بينهما لا تثبت على حال ، فكل يوم يتربص كل فريق بالآخر ، فيكون كل واحد منهما كالصياد الذي يخدع الآخر فيفوز عليه ، ثم يرسم الشاعر للسامعين صورة تمثيلية يقف القارئ منبهرا بها ، فيعقب بأسلوب الإطناب عن طريق الإيضاح بعد الإبهام ،" ليتمكن المعنى في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الاجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته

---

(١) الإيضاح ٣ /١١٨ .

(٢) صحيح البخاري المسمى: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ١٩/٤،ح/ ٢٨٠٤،ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة " مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم / محمد فؤاد عبد الباقي"، الطبعة / الأولى ١٤٢٢هـ .

(٣) الإيضاح ١٣٧/٦ .

(٤) الإيضاح ٣ /١٠٧ ، وما بعدها .

على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلي ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم "[1]، فلما قدَّم الشاعر قوله : " تغتدي .. كل غدا لعدوه صيادا " ، وكان هذا كلاما مجملا يحتاج إلي مزيد توضيح وبيان ، وكان فيه تشويق وإثارة لذهن السامع المترقب للتوضيح والبيان ، أعقب ذلك بقوله في البيت الذي يليه :

يَرْمِي شِبَاكَ الصَّـيْدِ فِـي تَنُّورِهَـا ∴ لِيَصِـيدَهُ أَو يَبْلُـغَ اسْتِشْـهَادَا

ليوضح للسامعين أن المجاهد الفلسطيني يرمي الشباك ناصبا الفخ لجنود الاحتلال ، كما ينصب الصائد الشباك لصيد الحمام في الصحراء ، فما أن يقترب جند الاحتلال إلا واصطاده أحرار فلسطين ، وإما أن يستشهدوا في سبيل الله ، ثم ينهض الشاعر بمقصده في قوله :" هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِهِ مَعَ غَاصِبٍ " ،فيعبر بالمسند إليه "هذي " اسم إشارة للقريب " لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حسا " [2] ؛ لمزيد التنويه بشأن هذه القضية حثا للسامعين على أن تبقى ذاكرتهم حاضرة لا تنس جرائم هؤلاء المحتلين الذين عاثوا في الأرض فسادا ، وقهرا فارتكبوا أبشع الجرائم وأشدها خسة وغدرا .

وعَبَّرَ الشاعر بأسلوب المجاز المرسل لعلاقة الجزئية[3] في قوله : " ويصرع الأكبادا " ، فعبر بالجزء " الكبد " وأرد الكل " الإنسان " والمراد به الإنسان العربي الفلسطيني ، واختار الشاعر الأكباد لأنها مركز الحياة في جسم الإنسان التي بها يعيش الإنسان أو يموت ، للإيماء إلى بشاعة جرائم الاحتلال وفظاعتها ، فهم يصرعون الأكباد قتلا وتعذيبا بلا رحمة ولا رأفة ولا شفقة .

وآثر الشاعر في آخر هذا المقطع التعبير بأسلوب الاقتباس في قوله : " للحرث يُهلك ظالماً مع نَسْلِهِ " فهو مقتبس من قوله تعالي:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ ﴾ **البقرة: ٢٠٥** ، ليؤكد للمخاطبين أن اليهود

---

(١) الإيضاح ١٦٩/٣ .
(٢) الإيضاح ١٨/٢ .
(٣) الإيضاح ٢٥/٤ .

المحتلين قد جمعوا كل ألوان الشرك ومثالب الكفر ، فأضحوا أعوانا للشيطان لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ويختم الشاعر هذه الأبيات بالأسلوب الإنشائي عن طريق الاستفهام في قوله : " أرأيت " شارونا "[١] أحس رقادا" ؟ والاستفهام هنا للإنكار[٢] فالشاعر يُنْكِرُ أنْ يكونَ " شارون " قائد الجيش الإسرائيلي آنذاك أحس بالراحة والطمأنينة في مرقد نومه ، تهويلا وتعظيما لشأن أبطال فلسطين الذين يدافعون عن أرضهم بكرة وعشيا ؛ فلا يقهرهم جيش " شارون " ولا يخمد نار عزيمتهم بطش اليهود وأعوانهم قال الخليل : " رقد: الرُّقادُ والرُّقودُ: النوم بالليل، والرقدة أيضاً: همدة ما بين الدنيا والآخرة "[٣]، وهذا أدل على أن نضال أبناء فلسطين قد حقق مراده فلم يهدأ لـــ " شارون " وجيشه بالا ، ولم يغمض لهم جفن من شدة خوفهم من أشبال فلسطين الذين يتسابقون للاستشهاد في سبيل الله ، والدفاع عن أرضهم المحتلة بغية رد العدوان وصد المحتل عن التوغل في أرضهم ،والشاعر متأثر –أيضا – بقوله تعالى :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ **الماعون: ١**، وهذا أبلغ في التهويل وأمكن في التخويف ، وأدل على تناهي الرهبة في قلوب جيش الاحتلال .

* * * * * *

(١) " شارون " رئيس وزراء إسرائيل سابقا ، وقائد من قواد الحرب ضد العرب .

(٢) الإيضاح ٣ /٧٢ .

(٣) كتاب العين ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي ٥/١١٥، ت / د مهدي المخزومي ، ود / إبراهيم السامرائي ، ط / دار ومكتبة الهلال " بدون " ، مادة " رقد " .

المبحث الخامس

بلاغة التعبير عن حق العرب والمسلمين في أرض سيناء وفلسطين

توطئة : تحدَّثَ الشاعرُ عن هذه الفكرة في سبعة عشر بيتا [1] ،صور من خلالها حق العرب الثابت في أرض سيناء وفلسطين ، مصورا ذلك بأسلوب محكم ، ومعان سامية وحكم خالدة ، فيقول :

الْحَرْبُ دَائِرَةٌ وَلَوْ طَالَتْ مَدَى ∴ لَا فَادَ مِنْهَا ظَالِمٌ أَوْ سَادَا
الْأَرْضُ لِلْفَادِي تُرَابَ جُدُودِهِ ∴ لَا الْغَاصِبِ الْبَاغِي يَطِيبُ مِهَادَا
مَهْمَا تَسَلَّطَ أَو تَجَبَّرَ كَيْدُهُ ∴ هُوَ بَائِدٌ لَا بَالِغٌ مِيعَادَا
أَرْضُ الْجُدُودِ يَنَالُهَا أَبْنَاؤُهُمْ ∴ لَا مَنْ بَهَا فَقَدَ النُّهَى وَأَبَادَا
أَرْضٌ "كَسَيْنَاءٍ" تُعَانِقُ غَزَّةً ∴ وَالْقُدْسُ قَدْ وَقَفَتْ لَهُ مِرْصَادَا
أَرْضُ الْمَسِيحِ وَأَرْضُ مَسْرَى أَحْمَد ∴ أَرْضُ الْخَلِيلِ يُورِّثُ الْأَحْفَادَا
أَحْفَادُ إِسْمَاعِيلَ "لَا عِيصٍ" وَلَا ∴ أَحْفَادُ يَعْقُوب تَعِيثُ فَسَادَا
الْأَرْضُ لِلَّهِ الْمُورِّثِ أَرْضَهُ ∴ لِلصَّالِحِينَ يُشَيِّدُونَ وِدَادَا
أَرْضُ السَّلَامِ لِمَنْ أَقَامَ بِهَا الْهُدَى ∴ وَأَطَاعَ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَشَادَا
الْهَدْمُ لا يَبْنِي السَّلامَ لِشَعْبِهِ ∴ بَلْ يُثْمِرُ الْبَغْضَاءَ وَالْأَحْقَادَا
وَاللهُ نَاصِرُ مَنْ احَلُّوا قُدْسَهُمْ ∴ حَتَّى لِيَوْمٍ يَجْمَعُ الْأَشْهَادَا
فِي كُلِّ عَامٍ تَغْتَدِي أَعْيَادُهَا ∴ كَتُرَاب "سَيْنَا" حَطَّمَ الصْفَادَا
مَا أَبْتَغِيهِ يَرَاهُ فِتْيَةُ شَعْبِهَا ∴ طِفْلُ الْحِجَارَةِ لِلْخُلُودِ أَعَادَا
مَا دَامَ حَامِيهَا بِحَدِّ سِنَانِهِ ∴ وَمُنَاضِلًا عَنْ قُدْسِهَا الْأَوْغَادَا
هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِهِ وَكِفَاحِهِ ∴ بِالرُّوْحِ يَفْدِيهَا وَيَنْعَمُ زَادَا
وَاللهُ نَاصِرُ عَبْدَهِ فِي أَرْضِهِ ∴ وَمُثَبِّتًا مَنْ لِلسَّلَامِ أَرَادَا
وَالْمُوقِدُونَ الْحَرْبَ.. جَزْلُ أُوَارِهَا ∴ حَتَّى وَلَوْ مَكَثُوا بِهَا آبَادَا

---

(١) ديوانه صـ ١٧.

استهل الشاعر حديثه بالأسلوب الخبري بالجملة الاسمية الخالية من التأكيد فقال:" الْحَرْبُ دَائِرَةٌ وَلَوْ طَالَتْ مَدَى.." ؛ ليومئ للمخاطبين ثبات الحرب ضد المحتل الغاصب ودوامهما مهما طالت زمنا، وانتصر فيها المعتدي على صاحب الأرض لابُدَّ من عودة الأرض لأصحابها ، فلا يسود الظالم ولا يجني من تلك الحرب إلا الخسارة والهزيمة ، وعبر بأسلوب الطباق الخفي(١) بين قوله : " لا فاد "وقوله "أو سادا " ، للتأكيد على بوار سعي المحتل الظالم وخيبة أمله حتى ولو طال أمد الحرب ، واختير الطباق الخفي ليتآزر مع الأسلوب الخبري لكونه أمكن في تهيئة نفس السامع وتشويقه ، وأبلغ في تقوية المعنى المراد وهو بيان سوء عاقبة الظالم المعتدي على ثروات غيره وأنه لن يفيد شيئا أو يسود ،ويعقب الشاعر بالأسلوب الخبري في البيت الثاني :" الْأَرْضُ لِلْفَادِي تُرَابَ جُدُودِهِ " ؛ ليوطن في قلب السامع غرضه الرئيس وهو أن أرض سيناء ملك لأصحابها الذين ارتوت بدمائهم ؛ وعبر بالاسم المعرف بـــ " أل " في قوله : " الأرض " دون أن يقول " سيناء " مثلا ؛ لإفادة العموم والشمول تأكيدا على أن كل أرض ملك لأصحابها لا للمعتدين عليها أو الغاصبين لها ، ولذلك ورد المسند " للفادي تراب جدوده " متصلا باللام المؤذنة بالتملك والانتفاع " للفادي " أي : له دون سواه ، وتلحظ أن بين قوله : " للفادي " ، وقوله " لا الغاصب " طباق بين حرفين فاللام تؤذن بالتملك ، و" لا " تؤذن بعدم النفع والتملك ؛ للإيذان بعدم أحقية الغاصب الباغي في أرض غيره فلا يهنأ ، ولا يطيب له عيش في ملك الغير ، وعبر بقوله :"يطيب مهادا " ، للتأكيد على أنه لن يبلغ مراده مهما تغلل أو استقر في أرض ليست له ، ولما وجد الشاعر الفرصة سانحة عبر بأسلوب الشرط في البيت الثالث :

مَهْمَا تَسَلَّطَ أَو تَجَبَّرَ كَيْدُهُ ∴ هُوَ بَائِدٌ لَا بَالِغٌ مِيعَادَا

ليمهد المعنى المؤم في نفس المتلقي، وهذا أتم في التشويق ، وأكمل في التوثيق ، وأعمق في التأكيد على أن العدو المحتل مهما تسلط أو تجبر أو انتصر مصيره إلى زوال لن يبلغ ما أراد ، وعبر بأسلوب الإيجاز بالحذف فحذف " المسند

(١) ينظر : الإيضاح ٦ /١٤ .

إليه " في قوله : " مهما تسلط " ؛ والتقدير مهما تسلط العدو أو المحتل ؛ ليرمز إلى زوال المحتل واختفائه من أرض الغير الذي احتلها مهما تجبَّرَ أو تحكَّمَ ، وعبَّرَ الشاعر هنا بـ " أو " دون غيرها للتأكيد على استواء الأمرين معا التسلط والتجبر ليشي بأنَّ مصيرهم واحد وأنهما إلى زوال ، وجمع الشاعر بين اسم الفاعل " بائد " وقوله : " لا بالغ " لمزيد تأكيد وتوثيق لمراده ، إيماء إلى أن العدو لن يظفر بما يسعى إليه فهو بائد أي : تارك للأرض التي أحتلها هالك فيها غير بالغ لما سعى ، ولعلك تلحظ أن بين قوله "سادا "و" مهادا "و" ميعادا "في نهاية كل بيت من الأبيات الثلاثة سجعا مطرفا [1] يبعث جرسا موسيقيا رائعا في آذان السامع ، ويبث المعنى في قلبه ويمكنه في نفسه أتم تمكين، ثم عقب الشاعر بأسلوب الاقتباس في قوله :" أَرْضُ الْجُدُودِ يَنَالُهَا أَبْنَاؤُهُمْ " ، فهو مقتبس من قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ **الأعراف: ١٢٨** للإيماء إلى استحقاق أهل مصر لأرض أجدادهم التي وهبها الله لأحفادهم ، لا لمن بغي وتجبر واستحل أرض الغير وعاث في الأرض فسادا ، وعبر الشاعر في الشطر الثاني بقوله : " فقد النهى " ؛ للإشارة إلى شدة طيش جنود العدو الإسرائيلي وفقدهم لعقولهم ومجانبة الصواب لهم لاعتقادهم أن من احتل أرضا صارت ملكا له ، لذا ختم الشاعر البيت بقوله : " وآبادا " ، للتأكيد على توغل الطيش والسفه في نفوس كل محتل ، ومن ثم جهر الشاعر بمرمى كلامه فعمد إلى أسلوب الاستعارة المكنية في قوله : " أرض" كسيناء " تعانق غزة " ؛ لِيُجَسِّدَ لنا سيناء وكأنها فتاة تعانق أختها " غزة " ليبرز لنا مدى الاتصال والتمازج بين الأرض العربية ، وأنها أرض واحدة ملك لله استخلف فيها العرب ليبعدوه وحده لا شريك له وليدافعوا عنها ، ويتمسكوا بها ، وهذا يشي بأن قطرات دم الشاعر تفيض حبا وعشقا لوطنه وافتخارا بعروبته وقوميته ، وتلحظ أن الشاعر وفق في التعبير بأسلوب الحذف [2] ؛ حيث حذف من الجملة الثانية المضاف " أرض " لدلالة الأول عليه ، فالتقدير : أرض سيناء تعانق أرض

---

(١) ينظر : الإيضاح ١٠٦ ، وما بعدها .

(٢) المثل السائر ٢/٧٩ .

غزة ، للدلالة على امتزاج الأرضين روحا ودما فكأنهما أختان من دمٍ واحدٍ ورحمٍ واحدةٍ ، وهذه الصورة من روائع الشاعر الفذة التي تشي بتمكنه في فن القريض ، ثم يتسع خيال الشاعر فيصور لنا " القدس " وكأنها إنسان شجاع قد ترصد لعدوه " إسرائيل " بالمرصاد على سبيل الاستعارة المكنية ؛ للإشارة إلى قوة أبناء القدس وشجاعتهم وأنهم يقفون لليهود المحتلين بكل مرصد دفاعا عن أرضهم ، وهذا كناية عن شدة صمود أبناء القدس في وجه العدو الغاشم ، ورفضهم للاستسلام لهيمنة عدوهم وشدة بطشه ، رغم أنه متفوق عليهم في العدة والعتاد ، فضحوا في سبيل نصرة القدس وتحرير أرض العروبة بكل غال ونفيس وما زالوا كذلك حتى يحقق لهم وعد الله بالنصر وتطهير أرضهم من دنس المحتل ، وعبر بـ "قد " والفعل الماضي " وقفت " للدلالة على تحقق الوقوف للعدو والتصدي له بكل قوة من أبناء القدس ، فسالت دماءهم الذكية في كل واد بالقدس والمسجد الأقصى دفاعا عن مقدساتهم الإسلامية والمسيحية ، والتعبير بالفعل الماضي " وقفت " أدل على ثبات موقفهم ودوامه على مرّ الزمان، فلا محيص لهم عن النصر أو الاستشهاد في سبيل الله ونصرة أرضهم ، والتعبير بصيغة المبالغة " مرصادا " أبلغ في الدلالة على أنهم يقفون في كل شبر من أرضهم بُغْيَةَ التَّصدِّي لهجمات العدو الصهيوني، ومن ثم وجد الشاعر الفرصة سانحة ليبرهن على حق العرب والمسلمين في أرض فلسطين دون غيرهم فقال :

أَرْضُ الْمَسِيحِ وَأَرْضُ مَسْرَى أَحْمَد ∴ أَرْضُ الْخَلِيلِ يُورَّثُ الْأَحْفَادَا

وعبر بالأسلوب الخبري لتنزل المنكر لتلك الحقيقة وهم " اليهود المحتلين لأرض فلسطين بدعوى أنها أرضهم منزلة غير المنكر لأن معهم من الأدلة والبراهين الموجودة في الكتاب المقدس الصحيح ما إن تأملوه ارتدعوا عن إنكارهم [١] لكونهم على علم لا شك فيه أن تلك الأرض ليست ملكا لهم ، وقدم ذكر " أرض المسيح " ليؤكد أن مسيحي الشرق لهم إرث تاريخي في تلك الأرض مثلهم مثل المسلمين لأنها أرض المسيح – عليه السلام – ولد فيها ونشأ بها ومنها رفع إلى

(١) ينظر : الإيضاح ١/٧٥ .

السماء بإذن الرحمن وفيها سينزل إن شاء الله ، ثم عقب بقوله: "وأرض مسرى أحمد" ليبرهن على أنَّ تلك الأرض حق للمسلمين وإخوانهم مسيحي الشرق لا لليهود الغاصبين ، ونص على معجزة الإسراء والمعراج لكونها أعظم المعجزات الربانية للنبي – صلى الله وعليه وسلم – وأمته ،ثم قال :" أَرْضُ الْخَلِيلِ يُورِّثُ الْأَحْفَادَا " ؛ للإشارة إلى البعد التاريخي في إرث تلك الأرض للمسلمين والمسيحيين دون اليهود فهذه الأرض كانت ملك لخليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – ومن ثم ختم بمراده وهو قوله : " يُورثُ الأحفادا " ، إيماء إلى أن تلك الأرض ملك لأحفاده الصالحين منهم لا المعتديين الغاصبين ، ثم يعمد الشاعر إلى أسلوب الإطناب عن طريق التفصيل بعد الإجمال(١) فتلحظ أن قوله :" أرض الخليل يورث الأحفاد " فيه إجمال يجعل نفس السامع متشوقة متلهفة لمعرفة أي فريق من الأحفاد : أحفاد إسماعيل أم أحفاد إسحاق – عليهم السلام – فلما جاء التفصيل في البيت الذي يليه :

أَحْفَادُ إِسْمَاعِيلَ "لَا عِيصٍ" وَلَا ∴ أَحْفَادُ يَعْقُوب تَعِيثُ فَسَادَا

تمكن المعنى في نفس المخاطب أتم تمكين وأحسنه ، وتلقف قلب السامع مرمى المتكلم وجعله في قرار مكين ، فعلم أنه لا مراء في أن تلك الأرض ملك لأحفاد إسماعيل – عليه السلام – من المسلمين والمسيحيين ، وليست ملكا لأحفاد عيص بن إسحاق – عليه السلام – لكونهم زاغوا عن هدي المرسلين واتبعوا أهواءهم وانغمسوا في شهواتهم ، وجنح الشاعر إلى أسلوب الفصل بشبه كمال الاتصال ليتآزر مع أسلوب الإيضاح بعد الإبهام في توطيد المعنى وتمكينه في نفس المتلقي؛ لأنه لما أثبت أن أرض فلسطين ملك لأحفاد إسماعيل – عليه السلام – ونفى أن تكون ملك لأحفاد عيص أي : عيص بن إسحاق أو أحفاد يعقوب – عليهم السلام – كان ذلك مثيرا لسؤال في نفس السامع مفاده ما السبب في ذلك ؟ فأُجِيبَ بقوله : " تُعيثُ فسادا " أي : لكون أحفادهم تعيث في الأرض فسادا قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ **الأنبياء: ١٠٥**، وهذا أمكن في الأسلوب

(١) ينظر : الإيضاح ٣ /١٩٨ .

وأجلُّ في المعنى وأحكم في الحجاج، وإفحام الخصم بالحجة وإلزامه بها لأنها وردت له مقرونة بالبرهان والدليل ، فهب مثلا أن الشاعر لم يذكر قوله : " تعيث فسادا " لكان كلاما غثا مغسولا لا قيمة له ، لأنه كلام مرسل غير مقترن بالدليل، ولعل المخاطب لما سمع كلام المتكلم القاطع بأحقية أحفاد إسماعيل في أرض فلسطين دون إخوتهم أحفاد عيص بن إسحاق ويعقوب – عليهم السلام –تأهبت نفسه شوقا لمعرفة البرهان الموقن في ذلك بعد معرفة الدليل ، فاستعان الشاعر بأسلوب الاقتباس ممزوجا بأسلوب إلزام الخصم بالحجة فقال :

الْـأَرْضُ لِلَّـهِ الْمُـوَرِّثِ أَرْضَـهُ ∴ لِلصَّـالِحِينَ يُشَـيِّدُونَ وِدَادَا

فهذا مقتبس من قوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ **الأعراف: ١٢٨** ، وانتقاء الشاعر لأسلوب الاقتباس أدل على براعة الشاعر وسيطرة النزعة الإسلامية الصافية على مكونات فكره وخبايا عقله ، فلديه مخزون فكري وثقافي يشي بروعته في الفكر وحكمته في الأسلوب ، كذا تلحظ أن البيت السابق يشتمل على أسلوب إلزام الخصم بالحجة[١] فلما ذكر في الأبيات السابقة أن أرض فلسطين ملك لأحفاد إسماعيل دون إخوتهم أحفاد عيص بن إسحاق وأحفاد يعقوب –عليهم السلام – ذكر العلة في قوله :" تعيث فسادا " وهو دليل مقتبس من النص القرآني الوارد في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ** ﴾ **الأعراف: ١٢** ، وقوله:﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ** ﴾ **الأنبياء: ١٠٥** ، ليغرس اليقين في قلوب المخاطبين ، ويستنطق المعاندين بالحجة دون أن يشعروا، فيسرى المعنى في نفس السامع كسَرَيانِ النسيم ، وتلحظ أن بين قوله :" تعيث فسادا " في البيت السابق وقوله : " يشيدون ودادا " أسلوب مقابلة اثنين باثنين ، فقابل الشاعر بين " تعيث "

---

(١) إلجام الخصم بالحجة :" هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه". البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي صـ ٩١٣، ت / أبي الفضل الدمياطي، ط /دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

و " يشيدون " وبين " فسادا " و" دادا " ، والمقابلة هنا أكدت المعنى أكمل تأكيد ، فجاء كالحسنة التي تأتيك من حيث لا ترتقبها ، ولعلك تلحظ أن الشاعر أجاد وأحسن في سبكه للأساليب ومزجه بين الألفاظ والمعاني ، ثم عقب الشاعر بأسلوب الإطناب بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات [١] ليتعانق مع الأساليب البلاغية في توطيد المعنى قلب السامع ، فلما ذكر الشاعر في البيت السابق قوله :" الأرض لله المورث أرضه .. للصالحين .. " ، وكان هذا الخطاب فيه عموم وشمول لأنه يدخل تحت هذا الحكم أهل الصلاح من أحفاد إسماعيل وإسحاق –عليهما السلام – ذكر قوله : " أَرْضُ السَّلَامِ لِمَنْ أَقَامَ بِهَا الْهُدَى .. " ؛ ليخصص العموم ويوضح الشمول فيفند مزاعم اليهود الذين يزعمون أنهم أهل سلام وصلاح لِينُصَّ على أنَّ أرضَ فلسطين لأهل السلام الحقيقي لا المزعوم فهي أرض السلام لأهل الأديان السماوية الثلاثة لكن الله – تعالى – وهبها للأخيار منهم الذين أقاموا الهدى وأطاعوا رب العالمين ولم يعصوا له أمرا ، فجعل الله لهم من أمرهم رشدا ، وهذا أبلغ في الإشارة إلى أن هذه الأرض حق للمسلمين دون سواهم ، فهم أهل الحمد والرشاد والسلام ، وأبلغ في الدلالة على أن أحفاد إسحاق – عليه السلام – من حقهم زيارة الأماكن المقدسة والعيش بسلام مع أمة الإسلام ما داموا مسالمين لا يعتدون ولا يفسدون، وهذا مقتبس من قوله تعالى :﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ **المجادلة: ٢١**،وعبر الشاعر بأسلوب القصر بطريق العطف بـ " بل " [٢] في قوله :

أَرْضُ السَّلَامِ لِمَنْ أَقَامَ بِهَا الْهُدَى ∴ وَأَطَاعَ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَشَادَا

ليتكامل مع غيره من الأساليب البلاغية في النهوض بالمعنى في هذا السياق، فتلحظ أنه قد نفى أولاً أنَّ هدمَ البيوت وانتهاك الحرمات يبني السلام لأي شعب من الشعوب لا سيما المحتل الغاصب ، ثم أثبت أن ذلك يثمر البغضاء والأحقاد ويشعل الضغائن في النفوس ، فالشاعر قصر موصوفا وهو اعتقاد أن الهدم يبني السلام

---

(١) الإيضاح ٣/٢٠٠.

(٢) الإيضاح ٣/٢٢ .

للشعوب على صفة إثمار البغضاء والأحقاد ، وهذا أبلغ في التشنيع من شأن الهدم والتحقير منه ، تحذيرا للسامعين منه ، وتحقيرا لدولة الاحتلال الإسرائيلي التي تمارس نقيصة الهدم رغبة منها في تحقيق السلام ، وهذا تعريض بقبح أفعال الاحتلال، ومن دقائق النظم هنا إيثاره استعمال كلمة " الهدم " دون (الاحتلال أو القتل) مثلا ؛ للإشعار بأن أدنى درجات أفعال الاحتلال وهي هدم منازل أصحاب الأرض لا تبني سلاما بل تأجج الصراع وتحرك مشاعر البغضاء والحقد بين صاحب الأرض والمحتل ، فما بالك بالقتل والتعذيب ؟ لا شك أن الشاعر يستخلص المعنى بحكمة من قلوب المخاطبين ، وهذا أبلغ في الردع ، وأكمل في الزجر ، وأبلغ في بيان سوء عاقبة اليهود الغاصبين ، وانتقى الشاعر " لا " النافية في قوله :"لا يبني السلام " ؛ لأنها أبلغ في الدلالة على انتفاء هذا الأمر من أصله ، فالهدم لا يبني سلاما ولا يحقق غاية ، وعبر بالفعل المضارع " يثمر " للدلالة على تجدد إثمار البغضاء والأحقاد والضغائن نتيجة سياسة الهدم والتجويع والتهجير التي يستعملها اليهود في الأرض المحتلة ، وهذا إيذان باجتماع هذه البراكين وقرب انفجارها في وجه العدو المحتل عما قريب ، ترهيباً وتحذيراً لهم من ذلك الأمر الخطير .

ثم تتجسد معاني الاحتفاء بالنصر ، والاعتزاز بالأمجاد في نهاية أبيات القصيدة فيقول الشاعر :

وَاللهُ نَاصِرُ مَنْ احَلُّوا قُدْسَهُمْ ∴ حَتَّى لِيَوْمٍ يَجْمَعُ الْأَشْهَادَا

فِي كُلِّ عَامٍ تَغْتَدِي أَعْيَادُهَا ∴ كَتُرَابِ "سَيْنَا" حَطَّمَ الْأَصْفَادَا

مَا أَبْتَغِيهِ يَرَاهُ فِتْيَةُ شَعْبِهَا ∴ طِفْلُ الْحِجَارَةِ لِلْخُلُودِ أَعَادَا

مَا دَامَ حَامِيهَا بِحَدِّ سِنَانِهِ ∴ وَمُنَاضِلًا عَنْ قُدْسِهَا الْأَوْغَادَا

هَذِي قَضِيَّةُ أَرْضِهِ وَكِفَاحِهِ ∴ بِالرُّوْحِ يَفْدِيْهَا وَيَنْعَمُ زَادَا

وَاللهُ نَاصِرُ عَبْدَهِ فِي أَرْضِهِ ∴ وَمُثَبِّتًا مَنْ لِلسَّلَامِ أَرَادَا

وَالْمُوقِدُونَ الْحَرْبَ.. جَـزْلُ أُوَارِهَـا ∴ حَتَّـى وَلَـوْ مَكَثُـوا بِهَـا آبَـادَا

استخدمَ الشاعر هنا الأسلوب الخبري بالجملة الاسمية في قوله :" وَاللهُ نَاصِرُ مَنْ احلُّوا قُدْسَهُمْ .. "؛ لأنها أتمُّ وأثبتُ في تأكيد نصر الله لمن احلوا قدسهم وتثبيت لمن للسلام سعى وأراد ، والتعبير بالجلمة الاسمية أبلغ لأنهـا أدل علـى الثبـوت والدوام فالله وعده ثابت دائم لا يتبدل قال تعالى :﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٨٧ ، وآثر التعبير باسم الفاعل " ناصر " للدلالة على ثبات النصر ودوامه وأن ذلك وعد محقق من الله لا ريب فيه ،وعبر الشاعر بأسلوب الكناية في قوله :" حَتَّى لِيَوْمٍ يَجْمَعُ الْأَشْهَادَا " كناية عن موصوف " يوم القيامة " ؛ للإشارة إلى امتداد وعـد الله بالنصر لمن يبغي السلام إلى قيام الساعة ، ومن ثم كرر الشاعر المعنى ذاته فـي قوله :

وَاللهُ نَاصِـرُ عَبْـدَهِ فِـي أَرْضِـهِ ∴ وَمُثَبِّتًـا مَـنْ لِلسَّـلَامِ أَرَادَا

ليوثق في نفوس السامعين أن معية الله ونصره ثابت لا يتغير للعبـد الـذي يدافع عن أرضه ، وأن وعده حق في ذلك ، كذلك هو مثبت بعظمته مـن للسـلام أرادا ، وهذا أكمل في الإيحاء وأجود في تثبيت المعنى وتمكينه في قلب السـامع ، ويعمد الشاعر إلى أسلوب التشبيه ليوطد مراده ويؤكد مبتغاه في قوله :

فِـي كُـلِّ عَـامٍ تَغْتَـدِي أَعْيَادُهَـا ∴ كَتُـرَابِ "سَـيْنَا" حَطَّـمَ الصَّـفَادَا

فيشبه احتفال أبناء مصر في كل عام بنصر أكتوبر وفرحتهم به بسعادة تراب سيناء بتقييد اليهود الغاصبين الذين احتلوا أرض سيناء وعاثوا فيها فسادا ، بجـامع تكرار الاحتفاء وتجدد الفرحة عند الطرفين ، وهذا أبلغ في التصوير ممـا يعطـي المعنى بهاء وجمالا ، وعبر الشاعر بالفعل " حطَّم " المشدد ؛ للدلالة على تكـرار التحطيم أي : التقييد وتعدده ،والشاعر أجاد هنا في الوصف لأنه صور تراب سيناء بأنه قيد الصفاد قال ابن فارس: " الصَّادُ وَالْفَاءُ وَالدَّالُ أَصْلَانِ صَـحِيحَانِ: أَحَـدُهُمَا عَطَاءٌ، وَالْآخَرُ شَدٌّ بِشَيْءٍ ..وَأَمَّا الصَّفْدُ فَالْغُلُّ، وَيُقَالُ: الصَّفْدُ التَّقْيِيـدُ. وَالْأَصْـفَادُ:

الْأَقْيَادُ "[١]، ثم يبدع الشاعر في وصف حال أطفال فلسطين مصورا جسارتهم، وقوة إرادتهم فيقول :

مَا أَبْتَغِيهِ يَرَاهُ فِتْيَةُ شَعْبِهَا ∴ طِفْلُ الْحِجَارةِ لِلْخُلُودِ أَعَادَا

مَا دَامَ حَامِيهَا بِحَدِّ سِنَانِهِ ∴ وَمُنَاضِلًا عَنْ قُدْسِهَا الْأَوْغَادَا

فيصور الطفل الفلسطيني المناضل بالمجاهد العظيم الذي يُعِيدُ أمجادَ الخُلودِ ، ويحقق بما يحمله من أحجار يدفع بها كرامة العروبة أمجادا خالدة تشي ببطولة وشجاعة لا تقهر ، وأضاف الشاعر " طفل " إلى كلمة " حجارة " لمزيد تعظيم هذا الطفل وتفخيم شأنه ، إعلاء لكرامته ، وتشريفا لها ، ثم يشيد الشاعر بعظمة أطفال فلسطين الذين استداموا على النضال ومواجهة العدو المغتصب ، وعبر الشاعر بالأسلوب الخبري بالجملة الاسمية :" مَا دَامَ حَامِيهَا بِحَدِّ سِنَانِهِ.. " ، لأنها أتم وأثبت في توطيد المعنى وتوكيده في قلوب المخاطبين ، حثا لهم على الاستمرار في مواجهة العدو ، والثبات على المقاومة حتى يأذن الله بالنصر ، وهذا أبلغ في التجسيد وأكمل في التصوير ، وأدل على أن النصر سيحقق إذا استمر أبطال فلسطين على نضالهم ، وكفاحهم المشروع ضد قوى الطغيان والظلم ، وتلحظ أن الشاعر كرر قوله " الأوغاد " مرتين مرة في مطلع القصيدة وأخرى هنا في ختامها ، لمزيد تحقير هؤلاء المحتلين والغض من شأنهم ، ومن ثم يعمد الشاعر إلى أسلوب المناسبة " تشابه الأطراف " [٢] بين مطلع القصيدة وخاتمتها ، فلما ذكر الشاعر في المطلع قوله :

يَومُ الْعُبُورِ بِجَيْشِ مِصْرَ أَعَادَا ∴ أَرْضَ الْجُدُودِ ..وَحَطَّمَ الْأَوْغَادَا

ناسب ذلك الحديث عن آثار الحروب ونتائجها ، فقال :

وَالْمُوقِدُونَ الْحَرْبَ.. جَزْلُ أُوَارِهَا ∴ حَتَّى وَلَوْ مَكَثُوا بِهَا آبَادَا

ليؤكد في قلوب المخاطبين أنَّ من يوقد نار الحرب يجني ثمارها ، ويحصد نتائجها ، وتحل عليه عواقبها ، ليحذر الإنسانية جمعاء من عواقب الحرب ، وأنها

---

(١) مقاييس اللغة ٣ /٢٩٣ .

(٢) تشابه الأطراف: هو أن يختم الكلام بما يناسب أوله. ينظر: الإيضاح ٦ /٢١ ، وما بعدها .

لا تعود على أصحابها إلا بالدمار وسفك الدماء ، وقتل الأبرياء ، ولعلك تلمس أنَّ قولهَ :"وَالْمُوقِدُونَ الْحَرْبَ.. جَزْلُ أُوَارِهَا " مقتبس من قوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ **فاطر: ٤٣**، للإشارة إلى أنَّ إسرائيل هي التي أشعلت حرب أكتوبر واحتلت أرض العروبة ، فجنت ثمار تلك المعركة بما قدمت أيدي أبنائها من قتلٍ وتخريبٍ وتدميرٍ وانتهاكِ أعراضٍ وهدمِ بيوتٍ واحتلالِ أرضٍ فكان رد الجيش المصري قويا ذاقت إسرائيل به وبال أمرها ، وكان عاقبة أمرها خسرا ، وتلحظ أن هذا البيت يشتمل على أسلوب حسن انتهاء [1] لأنه صار من الأمثال الشاردة التي يضرب بها المثل في بوار السعي وسوء المُنْقَلَبِ ، فمن أشعل الحرب أحرق بنارها .. والله أعلم .

* * * * * *

(١) الإيضاح ٦/١٥٥ .

الخاتمة

الحمْدُ للهِ على عظيم عطائه وجميل نعمائه ، خص نفسه بالكمال ، وأجرى على خلقه النسيان والنقصان لِحِكْمَةٍ هو بها أعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأخيار وأصحابه الأبرار .

أما بعد

فتكْمُنُ نتائجُ هذا البحث بعون الله وتوفيقه فيما يلي :

١- وَظَّفَ الشاعر عبدالمجيد فرغلي الأساليب البلاغية المختلفة في قصيدته " يوم العبور " في الكشف عن مشاعره الجياشة المفعمة بمعاني الفخر والاعتزاز بجيش مصر العظيم الذي صنع بأمر الله تعالى معجزة خالدة بعبوره للقناة والانتصار على العدو الإسرائيلي في معركة أكتوبر المجيدة .

٢-تُعَدُّ القصيدة من أروع السجلات الأدبية التي تصور بسالة الجيش المصري وبطولاته العسكرية في حرب أكتوبر ، وتؤكد أنها امتداد لما حققه الجيش الإسلامي من نصر على الأعداء في عدة معارك سابقة ، وأن النصر حليف الأمة الإسلامية إذا استعانت بربها وأعدت لعدوها ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل .

٣-أَكْثَرُ الأساليبِ البلاغيةِ وروداً في القصيدة أسلوب التكرار؛ حيث تكررت كلمة " العبور " أحد عشرة مرة ، لإشعار السامعين بشدة احتفائه بالعبور وأنه مفتاح النصر الذي سطر به جيش مصر أكبر ملحمة تاريخية في العصر الحديث ، بينما لم يكرر الشاعر لفظ " اسرائيل " إلا مرة واحدة، ليبرز مدى الكُرْهِ والحقدِ الدَّفِينَيْنِ عند ذلك العدو الغاشم المحتل .

٤-أَكْثَرُ الأساليبِ البلاغيةِ ذكراً الأسلوب الخبري ، فورد في ستة وخمسين موضعا ، لأنه الأنسب لمراد الشاعر لكونه يرسخ في أذهان السامعين أحداثاً عظاماً وبطولاتٍ رسخت في عقول الأمة وسجلت في صفحات التاريخ الإنساني فهي من الوضوح بمكان .

٥- قلَّ استعمال الشاعر للأساليب الإنشائية فلم ترد إلا في أربعة مواضع ، لأنها أمكن في توطيد تلك المعاني في قلوب السامعين ، لكونها تستدعي مزيد تأكيد وتنبيه للسامع حتي تثبت في لبه وتحرك خبايا وجدانه .

٦- استخدم الشاعر جُلَّ الأساليب البلاغية الواردة في القصيدة في شحذ همم الشباب العربي ، وإثارة نخوتهم تجاه مساندة إخوانهم في أرض فلسطين لاسترداد المسجد الأقصى وكل الأرض العربية المحتلة .

٧- في حين كثرت الأساليب المجازية عن طريق الاستعارة التمثيلية والكناية لأنها تناسب الغرض الرئيس الذي يفيض فخرا واقتدارا بما حقق من نصر وعبور للقناة ، وهزيمة للعدو أعادت مجد الأمة المسلوب ، وردت كرامة العرب إلى سيرتها الأولى، ولم يستعمل الشاعر المحسنات البديعية في القصيدة إلا نادرا ؛ لأنه كان شاعرا مطبوعا لم يسرف في الاعتناء بالزخرفة اللفظية والإكثار من الحلى اللفظية إلا ما جاء منها عرضا واستدعاه السياق وتطلبه المقام .

٨- كثر استعمال أسلوبي الاستعارة والكناية في القصيدة فوردت الاستعارة في عشرين موضعا ، لأنها أكمل في التصوير والتجسيد ونقل أحداث المعركة وكأنها ماثلة أمام المخاطبين ، بينما وردت الكناية في ثمانية عشرة موضعا ؛ لأنها أنسب لغرض القصيدة الرئيس لكونها تفند ادعاء الإسرائيليين وترد على مزاعمهم بالبرهان المقترن بدليله ، في حين لم يرد أسلوب التشبيه إلا موضعين ؛ لعدم مناسبته للمقام والغرض المنوط من تلك القصيدة .

وبعد .. فهذا جهدي المتواضع بين يدي القارئ الكريم ، وأرجو من الله – تعالى – قبوله ، وأنْ يغفرَ لي ما زلَّ به قلمي أو لساني .. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم .

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم جَلَّ من أنزله .
١- الإيضاح في علوم البلاغة ،ت / محمد عبدالمنعم خفاجي ،ط/ المكتبة الأزهرية للتراث ،ط/ ثالثة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
٢- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي ، ت / أبي الفضل الدمياطي، ط /دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
٣- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع المصري ،ت /حفني محمد شرف، ط / الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٤- تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ثانية، ط / دار المعارف بمصر " بدون" .
٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الذهبي ،ت/ عمر عبدالسلام التدمري ، الناشر / دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ثانية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، ت / مصطفى حجازي ، وراجعته / لجنة فنية من وزارة الإعلام بالكويت ، ط / دار الهداية " بدون " .
٧- التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، للدكتور / بسيوني عبدالفتاح فيود ، ط / مكتبة الحسين الإسلامية ،ط / أولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م . " .
٨ -ديوان "أكتوبر رمز العبور" للشاعر عبدالمجيد فرغلي، إعداد وتقديم / عماد الدين عبدالمجيد فرغلي، تقديم الدكتور/عبدالله محمد أديب شمس الدين القاوقجي، ط / ثانية، طبعة/ دار الباسل للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ١٤٤٥هـ، ٢٠٢٤م .
٩- شرح الشفا ، تأليف / علي بن سلطان محمد أبو الحسن الهروي القاري ، ط / دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة / الأولى ، ١٤٢١هـ .
١٠- صحيح البخاري المسمى: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة " مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم / محمد فؤاد عبد الباقي"، الطبعة / الأولى ١٤٢٢هـ .
١١-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي ، ت / أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت .

١٢- عبدالمجيد فرغلي سيرة ومسيرة، بقلم/ عماد الدين عبدالمجيد، تقديم/ د حميدة قادوم، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية ، قسنطينة، الجزائر، الطبعة السادسة ، ط/ مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢١م، ١٤٤٢هـ
١٣- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، وضعه وحققه، وعلق عليه/ محمد رمزي المفتش السابق بوزارة المالية، القسم الثاني: البلاد الحالية، الجزء الرابع، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م
١٤- كتاب دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه / أبو فهر محمود محمد شاكر، ط / خامسة ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
١٥- كتاب أسرار البلاغة ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه / أبو فهر محمد محمود شاكر ، ط /دار المدني بجده ، ط / أولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م
١٦- كتاب العين ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت / د مهدي المخزومي ، ود / إبراهيم السامرائي ، ط / دار ومكتبة الهلال " بدون " .
١٧- معجم لسان العرب ، لابن منظور ، ط /دار صادر ، بيروت ، الطبعة / الثالثة ، ١٤١٤هـ .
١٨- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ،ت / صفوان عدنان الداودي، ط / دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط / أولى ١٤١٢م
١٩- المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير الجزري ، ت / الشيخ / كامل محمد محمد عويضة ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ، ط / أولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
٢٠- معجم مقاييس اللغة ،لابن فاس، ت/ محمد عبدالسلام هارون ،ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ ، ١٩٩٧م، بدون طبعة .
٢١- معجم الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، ت / محمد إبراهيم سليم ، ط / دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، بدون تاريخ .
٢٢- من بلاغة القرآن ، تأليف / أحمد أحمد بدوي ، ط / دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢٣- معاني الأبنية في العربية ، للدكتور / فاضل صالح السامرائي ، ط / دار عمار للنشر والتوزيع – عمَّان – الأردن ، الطبعة / الثانية، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨ م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٧٠
٢-	Abstract	٩٧١
٣-	المقدمة	٩٧٢
٤-	التمهيد	٩٧٦
٥-	المبحث الأول : بلاغة التعبير عن بسالة الجيش المصري في قصيدة يوم العبور	٩٨٤
٦-	المبحث الثاني : بلاغة التعبير عن فزع العدو الإسرائيلي من شجاعة الجيش المصري	٩٩٢
٧-	المبحث الثالث : بلاغة التعبير عن عودة الكرامة للعروبة كلها بنصر أكتوبر	١٠٠٤
٨-	المبحث الرابع : بلاغة التعبير عن ذكرى نصر أكتوبر وأنه أحيا الأمل في أبطال فلسطين	١٠١٥
٩-	المبحث الخامس : بلاغة التعبير عن حق العرب والمسلمين في أرض سيناء وفلسطين .	١٠٢٤
١٠-	الخاتمة :	١٠٣٥
١١-	فهرس أهم المصادر والمراجع	١٠٣٧
١٢-	فهرس الموضوعات	١٠٣٩